Sana'a University Journal of Human Sciences
مجلة جامعة صنعاء للعلوم الإنسانية
Vol. 2 | No. 1 | Page 137 – 182 | 2024 |
https://journals.su.edu.ye/index.php/jhs
ISSN : 2958-8677

# الأبعاد المعرفية للحجاج عند عبد الله صولة

# The Cognitive Dimensions According To Abdullah Sula

**عدنان يوسف أحمد الشعيبي**
باحث – قسم اللغة العربية
كلية اللغات – جامعة صنعاء – اليمن

**Adnan Yousef Ahmed Al-Shhuaibi**
*Researcher - Department of Arabic Language*
*Faculty of Languages - Sana'a University - Yemen*

**صدام نجيب الشيباني**
باحث – قسم اللغة العربية
كلية اللغات – جامعة صنعاء – اليمن

**Saddam Najeeb Al-Shaibani**
*Researcher - Department of Arabic Language*
*Faculty of Languages - Sana'a University - Yemen*

## الملخص:

يتناول البحث الجهود المعرفية لرؤية "الحجاج" عند الناقد والبلاغي التونسي عبد الله صولة في كتابيه "الحجاج في القرآن، ونظرية الحجاج ...دراسات وتطبيقات"، فهو يقف على نظريات الحجاج الغربية، ويستخرج منها ما يلاءم الحجاج في القرآن، مستوعبًا منهج "الأسلوبية". وقد تم بحث الأبعاد الحجاجية عبر الكلمة (المعجم)، والجملة (التركيب)، والصورة، ومتكأً على التداولية في الحصول على المعنى البلاغي، فهو جمع بين نظريات اللغة الغربية، وجهود اللغويين العرب والمفسرين في التعامل مع حجاج القرآن، واصفًا حجاج القرآن بالحجاج الشامل الذي لا تستطيع أية نظرية أن تؤطره، ومغايرًا من سبقوه في بحثه البلاغي هذا، فهو يبحث عن بلاغة التأثير والإقناع، في الخطاب القرآني، وليس عن بلاغة "النظم"، وهذا المبحث يرصد كل رؤية أو فكرة أو منهج أسهمت في تشكيل القدرة البحثية عند عبد الله صولة في كتابيه المذكورين أعلاه.


**الكلمات المفتاحية:** الأبعاد، المعرفية، الحجاج.


## Abstract:

The research deals with the cognitive efforts to see “Argumentation” according to the Tunisian critic and rhetorician Abdullah Sula in his two books “Argumentation in the Qur’an, and the Theory of Argumentation...Studies and Applications.” He examines Western theories of Argumentation and extracts from them what is appropriate for Argumentation in the Qur’an, absorbing the “stylistics” approach. The dimensions of argumentation were investigated through the word (lexicon), the sentence (structure), and the image, and it relied on pragmatics to obtain the rhetorical meaning. It combined Western language theories and the efforts of Arab linguists and commentators in dealing with the argumentation of the Qur’an, describing the argument of the Qur’an as the comprehensive argumentation that No theory can frame him, and unlike those who preceded him in this rhetorical research, he searches for the eloquence of influence and persuasion, in Quranic discourse, and not for the eloquence of “Nazm,” and this research monitors every vision, idea, or approach that contributed to shaping Abdullah’s research ability. Sula in his two books mentioned above.


**Keywords**: Dimensions, Cognitive, Pilgrims.

**هيكل البحث:**

في البحث ثلاثة مباحث؛ الأول البعد النظري للحجاج عند عبد الله صولة، وفيه أربع جزئيات كان البحث فيها، تعريف نظرية الحجاج، والتحولات التي رافقت النظرية في الغرب، ثم تعريف المفهوم، مفهوم الحجاج، والخصائص الأسلوبية في القرآن، ثم جرى بحث "المصطلح" مثل مصطلح الاقتضاء، والعدول، والخطابة الجديدة، والاقتناع وغيرها، والفقرة الخيرة كانت لبحث ما النظرية، وكيف تتناسل النظريات والأطروحات العلمية؟ وجرى بحث تصورات البلاغة والتفسير في قضايا تطّرق إليها البحث منها تصورات الزمخشري، والزركشي، والطاهر بن عاشور، وغيرهم، كالسكاكي، وتصورات لغويين غربيين مثل كاترين أوريكيوني، وديكرو.

المبحث الثاني؛ البعد المنهجي عند صولة، وفيه تم التعريف بالمنهج، وفيه تم الحديث عن الشروط الموضوعية للبحث عنده، بما فيه عنصر الاجتهاد، ثم الفهم الدقيق للنصوص، وكذلك تم بحث المنهج المعاصر في فهم التراث؛ لأن عبد الله صولة من المعاصرين، والتوفيق بين القديم والجديد من المعرفة والتحليل، والطريقة التي جرى التواصل بها مع التراث

القرائي، سواء البلاغي أم التفسير، ثم دواعي المنهجية عند صولة، وخيارات المنهج الأسلوبي في التحليل.

المبحث الثالث؛ الجهاز المفهومي التداولي عند صولة، وفيه عُرفت التداولية، والطريقة التي استخدم بها صولة التداولية، ثم الحديث عن السياق التداولي الذي أخذ به صولة للوصول إلى البعد الحجاجي مثل استخدام الألفاظ الشائعة في فترة البعثة المحمدية، وما بعدها، ثم الأفعال الكلامية في الوصول إلى المعاني البلاغية ذات القيمة الحجاجية، ثم التوجيه باستخدام المؤكدات اللغوية لإثبات المعاني في القرآن، وفي الأخير النتائج.

- **مشكلة الدراسة وأسئلتها:**

مشكلة البحث هي معرفة إلى أي حد استطاع الناقد والبلاغي العربي استيعاب المناهج الغربية، ومقارنتها بالأصول المعرفية العربية، ثم التوفيق بينهما في منهج قرائي موحد، وهل عبد الله صولة ناقد أسلوبي أو محلل وقارئ بلاغي؟ وإلى أي مستوى كان عبد الله صولة موفّقًا في تطبيق المنهجي التحليلي لنظريات الحجاج على القرآن والنصوص العربية؟

- **أهداف الدراسة:**

1- تعريف القارئ العربي بالناقد البلاغي والمحلل الأسلوبي عبد الله صولة، وجهوده المعرفية.

2- تعريف القارئ العربي بنظريات الحجاج عند صولة، والأبعاد المعرفية الظاهرة والمخفية التي تقف خلف المنهج التحليلي والبحثي له.

3- تقديم تعريف بعض المصطلحات العلمية المتعلقة بالبلاغة ونظريات الحجاج المهمة لمن يتّجه نحو نظريات الحجاج.

- أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في تسليط الضوء على شخصية بحثية عربية، قدمت مشروعًا لقراءة الخطاب القرآني حجاجيًا؛ إذ فتح الباب أمام الباحثين في الحجاج للتوجه إلى التراث العربي لتساند أطروحات الحجاج المعاصرة بالتوفيق بين بلاغة العرب ولسانيات الغرب في هذا المجال.

كذلك تكمن أهمية الدراسة في التعرف إلى الآليات المنهجية والبحثية، والأبعاد النظرية والمنهجية والقرائية التي شكلت شخصية عبد الله صولة البحثية، خصوصًا في كتابه "الحجاج في القرآن"، لما له من أهمية لطلبة العلم، والأساتذة، فهو مرجع مهم لهم، ومن أهمية بمكان لطلاب الدراسات البلاغية الجديدة، الذين يريدون تطوير مشاريع بحثية في هذا المجال.

- **حدود الدراسة:**

اقتصرنا في هذا البحث الوقوف على المصطلحات والمفاهيم ذات الصلة بالبحث، مثل الحجاج، والاقتضاء والأسلوب والعدول، وغيرها، فهي مصطلحات تشكل عمود البحث، ولها صلات في الدراسات العربية وكذلك الغربية، فاقتصر البحث على حصر المصطلحات بما سبق ، وكذلك الوقوف على بجهود بعض اللسانيين مثل ديكرو، وأوريكيوني، من الغرب، ومن العرب والمسلمين الزمخشري، والزركشي، والسكاكي، والطاهر بن عاشور، في الوقوف على جزئيات بلاغية ولغوية وكذلك التأثير التداولي على صولة مثل السياق التداولي والتوجيه، فكان هذا هو مجال الاشتغال في هذه الدراسة.

- **التعريفات الاصطلاحية والإجرائية:**

1- تعريف الحجاج عند صولة، والنظريات التي أخذ منها في بحثه، مثل " شاييم بيرلمان وتيتيكاه، وكذلك تولمين، ميشيل مايير".

2- تعريف الأسلوب عند ريفاتير وجان كوهين، وتقديم صورة لمفهوم الخصائص الأسلوبية كما جاءت عند الهادي الطرابلسي.
3- تعريف العدول وهو عمود الدراسات الأسلوبية في الغرب، وطريقة تحويله إلى إجراءات بحثية عند صولة.
4- تعريف الاقتضاء عند الأصوليين العرب وعند علماء الغرب اللغويين.
5- تعريف التداولية التي اشتغل عليها عبد الله صولة وعلى إجراءاتها، كالأفعال الكلامية والسياق والتوجيه الدلالي.

- **منهج الدراسة وإجراءاتها:**

تقف منهجية الدراسة على ثلاثة محاور؛ الأول: منجز الدراسات الحجاجية بما فيها من جهد نظري، أي تتبع جهود النظرية عند صولة، والعمل على استكشافها وإخراجها من أنساقها المضمرة.

الثاني: منجز الدراسات الأسلوبية وعلم الأسلوب، وهو منهج استوعبه عبد الله صولة بمهارة واقتدار، وطبقه على نماذج متعددة لها علاقة بالحجاج في زوايا لغوية وبلاغية، وقد كان العثور على ذلك بسهولة؛ لأن هذا هو منهج اشتغاله في بحوثه.

الثالث: هو التداولية وفيها آليات البحث عن المعنى البلاغي المرتبط بالبعد الحجاجي، كيفية ظهورها في مباحث عبد الله صولة.

- **مقدمة:**

ظهرت الجهود الحجاجية في البلاغة العربية قديمًا عند البلاغيين الأوائل الذين نشأوا مع حركة المذاهب الإسلامية، وأسسوا بعضها، وكان "البيان" هو الوصف الأول لكل العمليات البلاغية التفسيرية والإخبارية والإقناعية التي رافقت تفسير القرآن الكريم والسنة النبوية، وقد كان لأبي عثمان عمرو بن بحر الكناني البصري "الجاحظ" ولد في عام (150هـ - 767م) وتوفي في عام (255هـ/868م)[1]، دور كبير في الحجاج والمناظرة.

اجتمعت لديه كل مقومات التفكير البلاغي، وكان رمزًا من رموز البلاغة العربية، ومازال يحتفظ بقوة ما قدمه، من خلال مؤلفاته، وعلى وجه الخصوص "الحيوان" والبيان والتبيين"، إضافة إلى ذلك تمكّن من الفصاحة والبيان والقدرة على الجدل والإقناع، وأيضًا برع في الحجاج والمناظرة، وقد شهد ذلك في دفاعه عن العرب في وجه الشعوبية، ودفاعه عن بلاغة القرآن الكريم والبلاغة العربية على وجه الخصوص.

ففي كتابه "البيان والتبيين" ضمّن العديد من الخطب والرسائل والحوارات، كلها تبين عقلية الجاحظ الحجاجية، التي تقف خلفها المرجعية "المعتزلية" في النظر للقضايا وتفنيدها ودحضها، ففي حديثه عن الخطابة والخطباء كانت هناك وظائف لهذه الخطب منها الاحتجاج والإقناع والمناظرة والمنازعة[2]، فكل خطبة لها مكوناتها، من الناحية الحجاجية، وهي: مضمون الخطبة، موضوع الخطابة، البناء أو هيكل الخطبة، الغرض الذي من أجله جاءت الخطبة، الحجج المقدمة لذلك.

ففي المناظرة يبطل الجاحظ حجج الشعوبية ويدحض أدلتهم، ويفند الحجج ويبطل البراهين، ويدافع عن قضيته، فهو يعرض الدعوى، ثم يدلل عليها، ثم يعترض على الدعوى، ويرد على خصومه، يقول في

[1] - خفاجي، محمد عبد المنعم، أبو عثمان الجاحظ، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط1، دت، ص17

[2] - جغام، ليلى، الحجاج في كتاب "البيان والتبيين" للجاحظ، أطروحة دكتوراه، الجزائر، جامعة محمد خيضر- بسكرة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية، 2012- 2013م، ص122

نقض بلاغة الفرس: "وفي الفرس خطباء، إلا أن كل كلام للفرس، وكل معنى للعجم، فإنما هو عن طول فكرة، وعن اجتهاد رأي، وطول خلوة، وعن مشاورة ومعاونة، وعن طول التفكّر ودراسة الكتب"[3].

فهو يعرض التكلّف في الخطابة، عند الفرس، ومعاناتهم في إخراج كلامهم الإخراج البلاغي المؤثر، في حين يعرض مهارة العرب في الكلام وقدرتهم على إنتاجه تلقائيًا دون عيّ أو حصَر، كما في قوله: "وكل شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال، وكأنه إلهام، وليست هناك معاناة ولا مكابدة، ولا إجالة فكر ولا استعانة"[4]، فهو ينسب القدرة على صناعة الكلام للعرب، وكذلك القدرة على التأثير في المستمع دون كلّف، وهي طبيعة في العرب كما يثبت ذلك بلغته الحجاجية والمبرهنة.

فهذا "الجاحظ" أنموذج للبلاغي القديم الذي حاجج لغويًا وبلاغيًا في خطبه، ومناظراته، قبل أن تظهر نظريات الحجاج في القرن الواحد والعشرين، ثم يأتي أبو يعقوب السكاكي (555- 626هـ) الذي تفطّن للحجاج والاستدلال في كتابه "مفتاح العلوم".

في العصر الحديث ظهر البلاغي والأسلوبي التونسي عبد الله صولة من خلال دراساته المنشورة بمشروع القراءة الحجاجية (الاهتمام بنظريات الحجاج)، فقد اهتم عبد الله صولة بقضايا اللغة، منذ نشأته العلمية، من خلال الجانب الأسلوبي في اللغة والأدب، تمثّل ذلك في دراساته عن نثر "طه حسين"، لكنه رأى أن الأسلوبية هنا لم تعد تعطيه النتائج التي يبحث عنها في الخطابات المدروسة؛ إذ كان حينها مدرّسًا لمادة الأدب فقط، فخصّبها بتصورات من "علوم الخطاب"، ليتكشف له الاجتماعي والثقافي في الخطابات، عن طريق تحليل اللغة، ثم بعد ذلك انتُدِب لتدريس علم الدلالة، وهو ما عمّق عنده الاشتغال بالمعنى وطرق استخراجه وكان حينها على صلة ببحث "الحجاج"، وقد كتب دراسات في هذا المجال "توضّحت للدارس أن الحجاج بنية دلالية تستعمل لأغراض بلاغية تداولية اعتمادًا على أبنية نحوية معيّنة"[5] كما رأى ذلك محمد صلاح الدين.

في هذه المرحلة من الدراسة تبينت له أسرار اللغة الحجاجية، بالنظر إلى المكونات الدلالية، كالوحدات المعجمية الصغيرة (معنم)، أو الوحدات المعجمية الوسطى والكبرى، كاشتقاق المفردات، والمترادف والمشترك، والعلاقات المعجمية البينية في الجملة بما فيها من أنساق إعرابية، ثم التحوّل الأهم وهو الاتجاه إلى دراسة الخطاب، بعد استيفاء اكتشاف أسرار دراسة الأصوات والتراكيب والدلالة، ففيه كان التحوّل أو الانصراف من دراسة اللغة إلى الخطاب، كما فعل الكثير من اللغويين أمثال "ديكرو"، وأبوبكر العزاوي من العرب، فعرف علم تحليل الخطاب، وعلم النص، والأسلوبية، ولم يكن ذلك من باب البحث عن الجديد، بل كان اهتمام عبد الله صولة بالأسلوبية والحجاج والدلالة "مراحل طويلة من العمل لحل المشكلة الأساسية في علوم اللغة وهي العلاقة بين اللفظ والمعنى"[6].

هناك تحوّلات منهجية ملموسة شهدها الدرس عند عبد الله صولة، وقد كان لهذا علاقة بالنسق المعرفي الذي

[3] - الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين ج3، ت/عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998م، ص28

[4] - الجاحظ، البيان والتبيين – ج3، مرجع سابق، ص28

[5] - صولة، عبد الله، في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2011م، مقدمة الكتاب محمد صلاح الدين الشريف ص7

[6] - صولة، عبد الله، في نظرية الحجاج، مرجع سابق، المقدمة ص8

سلكه في حياته، وهو يتنقل بين الحقول المعرفية الأدبية والنقدية واللغوية، ثم البلاغية، كما في اهتمامه بالحجاج، فهو قرأ العديد من علماء اللغة والبلاغة الغربيين، أمثال: جاكبسون، كوهين، ريفاتير، تودورف، بيرلمان، مايير، بلانتان، تولمين، ديكرو، وغيرهم، وقد انعكس ذلك على دراساته، كما سنرى.

أولًا: البعد النظري للحجاج عند صولة:

في الكلام عن نظرية الحجاج، يجب أن نمر بمجموعة من الإجراءات، حتى تتبين لنا ملامح النظرية، أو ملامح تطبيقها؛ إذا أعددنا أي فكر نظريًا، ونظرية الحجاج كأي نظرية لها أطرها، وفلسفتها، وآليات اشتغالها، ومجالها، لكنها خضعت للتحولات الفكرية التاريخية منذ اليونان إلى يومنا هذا، ظهرت الخطابة في القديم بسبب الحاجة السياسية والاجتماعية لذلك، وظهر علم الجدل والفلسفة وتصنيف العلوم، ومن ثم توقفت الخطابة مع توقف الجدل والمنطق.

في العصر الحديث ظهرت نظرية الحجاج مع التحولات الكبرى التي شهدتها المعرفة في القرن العشرين، خصوصًا في مجال العلوم الاجتماعية، وتطور علم اللسانيات المصاحب لها، بعد أن تخلت عنها فلسفة العصور الوسطى والقرون الثلاثة الأخيرة، فالحجاج ارتبط بالمنطق والجدل والإقناع، وتكونت له أسسه النظرية.

كان لكتاب مصنف في الحجاج: البلاغة الجديدة، ل/ شاييم بيرلمان، ولوسي تيتيكا 1958م، الفضل الكبير في إعادة التفكير في الحجاج، كأساس نظري، وذلك بإعادة تأهيل المصطلحات المتعلقة بالخطابة والجدل والبلاغة والحجاج والفلسفة، وإنتاج مصطلحات داخل الدائرة المفهومية الحجاجية والحوارية، للتخلص من أعمال العنف عن طريق الإقناع ومحاولات الإقناع المصاحبة لذلك، وكذلك كتاب "استعمالات الحجة" ل/ ستيفان تولمين، في العام نفسه، دون أن تكون هناك صلة أو معرفة بين المؤلفين ومجالات اشتغالهم، لكن عصر الحجة والعقل هو الذي جعل هؤلاء يفكرون في بنية فكرية تقترب من بعضها وهو الحجاج من الزاوية العقلية، أعاد تولمين إنتاج مفهوم الحجة واستعمالها لتكون أكثر إقناعًا، ومجالها المنطق والعقل والعلم، لأجل التفكير في وسائل الإقناع الفعّال والعقلاني.

في تتبع عبد الله صولة لمصطلح الحجاج في الغرب ظهرت له الجهود الفكرية والنظرية للحجاج عند منظريها، وقد عمل على الاشتغال على النظرية من زاويتين:

**1- نظرية الحجاج بوصفها إجراءً علميًا:**

في إطار الحديث عن الحجاج وعلاقته بالخطابة والجدل، في مقدمة كتابه "الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية" ذكر تعريف الحجاج تحت مسمى: الحجاج من حيث هو "حوار" وباعتباره مبحثًا لغويًا قائمًا بذاته" أورد صولة نظريات الحجاج المهمّة التي أخرجت الحجاج من الخطابة والجدل وكذلك التي برّأته من تهمة الدعاية والاستمالة والمغالطة[7] ، وأتى بمفهوم تولمين للحجاج، و مفهوم برلمان وتيتيكاه، ومفهوم أوسكمبر وديكرو خاصةً، ومفهوم ماير، لكنه أورد مفهوم الحجاج بشكل مبسط، في إطار البحث اللغوي والبلاغي المستقل إجراءً علميًا بدأ بالحديث عن الحجة ومجال حركة الحجة في الدلالة كما هي عند تولمين في الكلام اليومي؛ لأنها أولى الوحدات

[7] - صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، ط2، 2007م، ص20

نحو الحجاج، ثم جاء بالمستوى الثاني من فكر النظرية الحجاجية وهو المستوى البلاغي، بالحديث عن علاقات الحجج ببعضها بعضًا في الوصل والفصل بين المفاهيم، وفي قدرتها على الإقناع العقلي، ثم المستوى الثالث في فكر النظرية وهو التمييز بين قدرات الكلام على الإقناع، من خلال عرضه على السلالم الحجاجية، لننظر قوة الجملة الحجاجية، وهو مستوى لغوي صرف، والمستوى الأخير هو أعلى مراتب نظرية الحجاج حجاجية الخطاب وحجاجية الفكر الأدبي، والفكر بشكل عام، هذا المستوى جاء في كتابه "في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات"، وهو عمومية النظرية الحجاجية على الفكر. وهي المستويات العلمية الأهم والأبرز في تاريخ نظريات الحجاج إلى اليوم، ولا بد لدارس الحجاج من الوقوف على هذه النظريات أو الاقتراب من مداراتها.

### 1-1- الحجاج رؤى وتحولات:

وهي المقاربات في مفهوم الحجاج من زوايا بعينها، لكنها تحمل توجهات أصحابها الفكرية، وهي مستقلة في سياقها، وقد ظهرت هذه الرؤى للحجاج في متون دراساته، مثل الحجاج عند الطاهر بن عاشور، الحجاج عند بلانتان، الحجاج عند روبول، وغيرهم، عندما أتى على مقارنة التعريفات المتعددة للحجاج، وهي جزئيات تدعم تعريف الحجاج اعتمدها في بحثه. وللتحقق من البعد النظري أو حضور النظرية وتطبيقها؛ يجب الوقوف على تعيين المفاهيم، والاشتغال عليها، فلا بد لكل نظرية من مفاهيم خاصة تعزلها عن نظريات أخرى في حقول مغايرة.

### 2- المفهوم:

في تعيين أية نظرية أو فكر أو اشتغال يجب البحث عن دائرة المفاهيم التي تتحرك فيها النظرية، ومجال تطبيقها، والمفاهيم هي التي تميز طبيعة المعرفة ومستوى نضجها، وتبين البيئة التي خرجت منها، فكل نظرية لها بيئتها الخاصة بها، وكل مفهوم له مرجعيته الخاصة المنبثقة من روح الثقافة التي خرج منها، ثم تأتي بقية التسميات والتصنيفات والمصطلحات التي تشرح وتحدد وتفصل هذه المفاهيم.

المفاهيم هي "مستودعات كبرى للمعاني والدلالات كثيرًا ما تتجاوز البناء اللفظي وتتخطى الجذر اللغوي لتعكس كوامن فلسفة الأمة، ودفائن تراكمات فكرها ومعرفتها"[8]، فأي مفهوم يحمل في طياته اختزال منظومات فكرية، وتحولات مصطلحية كبرى، قد لا تظهر من أول قراءة، لكن المشتغلين في مجالات المعرفة هم الذين يصلون إلى تلك المنظومات، التي تعمل بشكل أنساق عميقة في الفكر والوعي، والمفهوم ليس لفظًا كسائر الألفاظ، ولا كلمات كبقية الكلمات، فهو وعاء معرفي يحمل خصائص مميزة عن غيرها، ويمتلك هوية خاصةً به، وفيه صيرورة وتطور دلالي. تختلف طبيعة المفاهيم بطبيعة دلالتها، وحقولها، فمفاهيم الفلسفة تختلف عن مفاهيم الرياضيات، ومعاني اللغة، ويحدث أن تتحول المفاهيم إلى صراعات فكرية وعقائدية، وأن تصنَّف اتجاهات عقلية ومعرفية، وتقدم أية أمة معرفيًا يظهر في منظومة المفاهيم والمصطلحات الجديدة التي تسيطر على العقل المعرفي، وعلى النظريات العملية المكتشفة في هذا العصر أو ذلك.

[8] - مجموعة باحثين، إشراف علي جمعة، وسيف الدين عبد الفتاح، بناء المفاهيم: دراسات معرفية ونماذج تطبيقية، المجمع العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، دط، 1998م، ص7

دقق عبد الله صولة النظر في طبيعة عمل نظرية الحجاج، وكان ذلك في رصد المفاهيم الأولية التي انطلق منها لتمييز هذه المفاهيم عن غيرها، فقد أعاد كل مفهوم لبيئته التي خرج منها، وناقشه من وجهة نظره، مراقبًا المسافة التي يتحرك فيها المفهوم بين العلوم، وعلاقات الصلات والانفصالات التي ترافق حركة المفهوم. ففي مقدمة كتابه "الحجاج في القرآن" يقول: "نعرض في هذه المقدمة للتعريف بالمصطلحات الواردة في عنوان العمل. وذلك من أن تنزّل هذه المصطلحات بما تحمله من مفاهيم في إطار مشكلية البحث التي نعالجها في هذا الكتاب"[9].

فعنده المفهوم هو الدائرة المعرفية التي تتحرك فيها المعاني والمقاصد الكبرى، التي تحمل داخلها الشيء وما يتصل به من شرح وتفصيل وترادف وتضاد، وغيره، هذه المفاهيم على صلة مباشرة بمشكلة البحث، وهي التي ساقت إليه المصطلحات التي أوردها في دراسته، فالتفسير مجال معرفي، والبلاغة مجال معرفي، وكذلك المعجم، ينتقي صولة المفاهيم من حقولها ثم يناقشها كما سنرى.

### 2-1- مفهوم الحجاج:

بدأ السؤال عن الحجاج أولًا، في إطار علاقته بالقرآن، مما قرأ من آيات القرآن التي تذكر "الحجاج والمحاجّة"، وبأن هذا المصطلح قديم لكن ظهوره في الدراسات العربية الحديثة بهذه الصورة جعل المؤلف يبحث عن المفهوم في الثقافة العربية، ثم تحولاته في الثقافة الغربية منذ أرسطو إلى العصر الحديث بشكل مختصر، فالحجاج مفهومًا ورد في القرآن، ثم منهجًا و رؤية ورد عند المفسرين، وعند دارسي المناظرة والجدل من الفقهاء، أي كانت الممارسة لهذه الدراسات في الحقل الديني التفسير والفقه، وعلم الكلام، وهي المسافة التي تحرك فيها مفهوم الحجاج في الثقافة العربية في الفترة الماضية.

في العصر الحديث حدث تقارب بين مفهوم الحجاج الغربي والدراسات النقدية والبلاغية العربية الحديثة، وهذا ما جعل صولة يعمل على تقريب مفهوم الحجاج فيما بين هذه التحولات الثقافية والمعرفية، فقد قسمه حسب قدرة المفهوم على التداخل مع العلوم، والبيئة التي نشأ فيها؛ إذ يقول: "وجدنا للحجاج ثلاثة مفاهيم على الأقل: مفهوم يجعله مرادفًا للجدل ونجده خاصة عند القدماء بعض المحدثين العرب، ومفهوم يجعله قاسمًا مشتركًا بين الجدل والخطابة خاصةً ونجده عند اليونان...، ومفهوم له في العصر الحديث في الغرب؛ وهو أدق وأوضح (...) قد أخذ شيئًا فشيئًا في الاستواء مبحثًا فلسفيًا ولغويًا قائم الذات.. "[10].

تحضر هنا مركزية القضية البحثية، في الفكر الإسلامي العربي في الوقوف على العتبة الأولى لبحث المفهوم الأول للحجاج في علاقته ب"الجدل" في القرآن، وهو مبحث قديم وقف عليه مجموعة من المشتغلين، ابن أبي الإصبع المصري (654هـ/ 1256م) في كتابه "بديع القرآن"، وابن القيم الجوزية (751هـ/ 1350م) في كتابه "الفوائد المشوق إلى علوم القرآن"، والزركشي (794هـ/ 1391م) في كتابه "البرهان في علوم القرآن"، والسيوطي (911هـ/ 1505م) في كتابه "الإتقان في علوم القرآن"، وهي الكتب التي حدد فيها مفهوم الحجاج أي من المجال المعرفي التفسيري، ذات الصلة المباشرة بلغة القرآن الكريم، وبمعاني الألفاظ القرآنية، فيرى أن ابن أبي الإصبع و ابن القيم و الزركشي والسيوطي أدخلوه في

[9] - صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن، مرجع سابق، ص7

[10] - صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن، مرجع سابق، ص8-9

"الجدل" والمذهب الكلامي من باب الترادف، فالجدل يسد مسد الحجاج تمامًا وكذلك المذهب الكلامي عند بعضهم. ويأتي بذكر رأي المحدثين من العرب الهادي حمّو في كتابه "مواقف الحجاج والجدل في القرآن الكريم" بأن الحجاج والجدل مترادفتين؛ إذ يرى صولة أن هؤلاء حصروا الحجاج في لفظ "الجدل"، معترضًا على ذلك بقوله: "مهما يكن من أمر فليس القرآن بمستجيب في كليته ولا حتى في معظمه لمفهوم الحجاج باعتباره مرادفًا للجدل أو المذهب الكلامي مهما تعددت أنواع هذا الجدل"[11]. لأن الجدل يحدّه المنطق، والحجاج في القرآن يتجاوز شكل الجدل والمنطق معًا.

المفهوم الثاني للحجاج وقع بين مفهومين: الجدل واشتغاله، والخطابة وبلاغتها، ولكل مفهوم أسسه المعرفية، منذ القديم، فعبد الله صولة يرى أن الحجاج أوسع من الجدل، فكل جدل حجاج وليس كل حجاج جدلًا، وأن الحجاج يوجد بين المفهومين: حجاج جدلي، وحجاج خطابي[12]، بمعنى أنه صنّف المفاهيم هنا، ثم أعاد ترتيبها وصياغتها، (الحجاج، الجدل، الخطابة)، فأطّر الحجاج الجدلي بما جاء من دراسات في "جدل القرآن" و"المذهب الكلامي في القرآن"، وغيرها من دراسات علوم القرآن، وأتى إلى الحجاج الخطابي ورأى أنه تدخل فيه الانفعالات والتأثير العاطفي وإثارة المشاعر والمغالطات والخداع والإيهام بالواقع، وهذا ما جعل البلاغيين العرب يتجنبون الحديث عن الخطابة في القرآن، ولذا فهو يرد هذا الحجاج ويراه غير قابل للتطبيق في القرآن، كونه كلام الله المنزّل على نبيه، كما ردّ الحجاج الجدلي.

المفهوم الثالث للحجاج وهو الحجاج القائم على اللغة في ذاتها، وقد أخرجه أصحابه من الجدل والخطابة، وبرّأوه من تهم الدعاية والانفعالات والمغالطة، ورأوه أنه اتجاه عقليّ صرف، وهذا ما جعل مفهوم الحجاج يستقر عند عبد الله صولة في هذا المجال من الاشتغال "الاستدلال العقلي" الخالي من الانفعالات، ويراه الأنسب لدراسة الحجاج في القرآن الكريم، ومع ذلك لم يطلق العنان للنظرية تعبث وتلعب بالنص القرآني كما يريد العقل الحجاجي، فقد أخذ منهم وردّ ما يراه غير مناسب للتطبيق.

في أنموذج تولمين الحجاج: "معطى م ونتيجة ن وضمان ض" يرى صولة أنه غير مطمئن له كل الاطمئنان؛ لأن هذه الأركان الثلاثة للحجاج تذكّره بنهج الاستدلال الأرسطي في بناء القياس المنطقي القائم على حجج "صغرى، كبرى؛ إذن نتيجة"[13]، وهذا القياس المنطقي يدخل في نظرية القانون والبناء المنطقي الصارم، ويرى أن نموذج تولمين غير حجاجي لأن الحجاج يرمي دائمًا لإقناع الغير، وهذا أقرب إلى صناعة البرهان في المنطق.

في أنموذج بيرلمان وتيتيكاه كون الحجاج تقنيات خطابية تؤدي على التسليم بالأطروحات وتجعل العقول تذعن لما يُطرح، يرى صولة أن هذا الحجاج ليس هو بالجدل، وليس بالخطابة، إنما هو مفهوم آخر "خطابة جديدة" كما أعلنا في كتابهما، فمن الجدل أخذا فن المشهورات والمسلمات لإلزام الخصم بما فيه من تأثير ذهني على المتلقي وتسليمه بما يقدم له، ومن الخطابة فكرة "توجيه العمل" والإعداد له والدفع به[14]. فهو يرى أن الحجاج عندهما يعود أصله إلى الخطابة

[11] - صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن، مرجع سابق، ص16
[12] - صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن، مرجع سابق، ص17
[13] - صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن، مرجع سابق، ص25- 26
[14] - صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن، مرجع سابق، 28- 29

والجدل عن اليونان لكنهما تجاوزا الاتباع إلى الإبداع، بإضافتهما بعدًا عقليًا للخطابة وأخرجا البلاغة من "دائرة الاتهام بالتلاعب بالجمهور"، وهو بهذا يقر بأن نموذج بيرلمان وتيتيكاه لا توجد عليه ملاحظات، وبالإمكان تطبيقه في القرآن الكريم.

أما أنموذج أنسكومبر وديكرو فيكون الحجاج فيه بتقديم مجموعة أقوال، ق1 يمثل حجة تؤدي إلى ظهور ق2 ، ويكون ق2 قولًا صريحًا أو ضمنيًا، عندهما الحجاج محصور في عمل اللغة فقط، وهو بحث لغوي صرف عن طريق العمل المقتضى والمفهوم / المضمون في إطار التداولية اللسانية وأن الحجاج يكمن في "التوجيه"، بأن دلالة الملفوظ في التوجيه الناتج عنه، فهو يرى أن مفهوم الحجاج واسع عندهما، وأن حصر دلالة الملفوظ في "التوجيه" معيب على نظريتهما، يقول: "والرأي عندنا أن دلالة الكلام (وحتى الكلمة) ليست التوجيه فحسب، وإنما التوجيه جزء من دلالة ذلك الكلام وبعض منها."[15].

كذلك أنموذج "ماير"، الذي عرّف الحجاج بقوله: "هو دراسة العلاقة بين ظاهر الكلام وضمنيه" ويقصد بضمنيه السؤال، أو المساءلة، أي كل كلام جواب عن سؤال ضمني، والحجة تكون عنده جوابًا مقدمًا، ولما كان الحجاج إثارة الأسئلة وتواليها والإجابة عنها، فقد رأى صولة أن هذا يأتي كثيرًا في تراكيب القرآن، وأن الخطاب القرآني يستجيب لمفهوم الحجاج في إطار نظرية المساءلة عند مايير.

## 2-2- مفهوم الخصائص الأسلوبية في القرآن:

أقر عبد الله صولة بأن القرآن خطاب، والخطاب يقتضي الإقناع والتأثير، ثم حدد مفهوم الخطاب بما يمكن أن يُدرَس في القرآن، عند بنفنسيت أنه "كل قول يفترض متكلمًا وسامعًا مع توافر مقصد التأثير بوجه من الوجوه في السامع"[16]، فمن مفهوم الخطاب تتبع صولة المجال الذي يمكن أن يتعين في المخاطبين، وحدّد أنواع المخاطبين داخل النص القرآني وخارجه، والمخاطبين المحددين بالاسم والصفة، وغير المحددين، كون القرآن خطابًا موجهًا لمتلقٍ فعلي أو محتمل، والغرض هو تغيير لوضع ما، كونه كتاب إصلاح واستجابة لسؤال الأمة كما يرى، وهذا قائم على "الحجاجية"، حجاجية القرآن، بهذا المفهوم.

من المفهوم السابق، استخرج مفهومًا آخر على صلة بالمفهوم الخطاب القرآني، وهو مفهوم الخصائص الأسلوبية، لكنه مفهوم مركب من صفة وموصوف، بعد أن رأى أن "الخصائص الأسلوبية" ظواهر النص اللغوية، التي هيمنت عليه، بعد أن تكررت وترددت كثيرًا وتشكلت في هيئات وأوضاع ومعطيات، وتراكيب، وأصبحت "أسلوبًا في القول" يميّز القرآن، وقد أخذ صولة مفهوم الخصائص الأسلوبية من الناقد محمد الهادي الطرابلسي في كتابه "خصائص الأسلوب في الشوقيات"، وبأن هذه الخصائص تتجاوز المعجم والتركيب والصورة إلى الموسيقى/ أو الإيقاع، لكنه لم يستطع أن يكتشف البعد الحجاجي في الإيقاع فترك البحث في هذه الجزئية من الأسلوب، وهذا يعود إلى قصور البحث عند صولة نفسه، وقد ترك بحث الصوت والحروف والقصص والأساليب الأخرى، ويرى أن تردد الظواهر اللغوية في القرآن يمثل الخصائص الأسلوبية، بما في هذه الظواهر من طاقة حجاجية، وتكرار الظاهرة اللغوية يعني تكرار المعنى الحجاجي عنده.

[15] - صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن، مرجع سابق، ص36

[16] - صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن، مرجع سابق، ص41

**3- المصطلح:**

المصطلح في الفكر هو المرشد إلى منهجية التفكير، والمصطلح هو الوحدة الأساس في علم المصطلحات، وهو عند ممدوح جسارة: "كلمة أو مجموعة من الكلمات من لغة متخصصة علمية أو تقنية يوجد موروثًا أو مقترضًا للتعبير عن المفاهيم، وليدل على أشياء مادية محددة"[17]، وهي كلمة انتقلت من معناها المعجمي إلى معنى جديد يتم وضعه في مستوى معرفي محدد، ليرتبط بمجموعة من المصطلحات، ليعطي شبكة من المعارف تعبر عن نضوج التفكير النظري، وتماسك هذه المصطلحات يعني تماسك البناء النظري الماثل أمام التفكير، فلا نظرية بلا مصطلحات.

للنظر في المصطلح يجب مراعاة التخصص الذي تخرج منه المصطلحات، ودقتها العلمية، فهناك مصطلحات من كلمة واحدة، لكنها تحمل في مدلولها الكثير من المعاني والتحولات الدلالية التاريخية، وهناك مصطلحات من كلمتين أو أكثر، تحمل تداخل التخصصات، والمجالات، والحقول المعرفية، ووضوح المصطلح وصرامته يدل على قوة الفكر الذي يخرج منه، وهشاشة المصطلح وضعفه دليل على ركاكة الفكر، وضعف البنية المنطقية للنظرية التي تحمله، فدائما تأتي قوة النظريات من قوة الفكر الاصطلاحي فيها، ومتانة بنيتها المنطقية.

لعبد الله صولة طريقتان في التعامل مع المصطلح، الطريقة الأولى هي مصطلح الحجاج في الفكر العربي، وما تعلّق بمنهج الدراسة من مصطلحات لغوية وبلاغية، والطريقة الثانية هي قضية المصطلح المترجم من اللغات الأجنبية إلى العربية؛ لأنَّ المصطلح الأجنبي عليه الكثير من الاختلاف بين الدارسين والمترجمين العرب.

**3-1- المصطلح العربي:**

وقف على بعض المصطلحات العربية المتعلقة موضوع البحث، ليس من باب التأصيل، بل من باب الاستعمال في فكرة البحث، من هذه المصطلحات:

**3-1-1 مصطلح الحجاج:**

أخذ مصطلح الحجاج تعريفًا عند العلامة محمد الطاهر ابن عاشور (ت 1393هـ/ 1973م) في تفسيره للآية الكريمة: "ألم ترَ إلى الذي حاجَّ إبراهيمَ في ربّهِ"[18]، ابن عاشور يرى "حاجّ بمعنى خاصم وهو فعل على زِنة المفاعلة ولا يعرف لحاجّ في الاستعمال فعل مجرد دال على وقوع الخصام ولا تعرف المادة التي اشتق منها...، مع أن حاجّ لا يستعمل غالبًا إلا في معنى المخاصمة...، وأن الأغلب أنه يفيد الخصام بباطل... وجادل عنده: والمجادلة مفاعلة من الجدل وهو القدرة على الخصام والحجة فيه، وهي منازعة بالقول لإقناع الغير برأيك"[19].

وهو ما أيده صولة؛ إذ رأى أن اللفظين يجمعهما المخاصمة، لكنها في الحجاج على الباطل، والجدال على الحق والباطل. لكنه أورد المصطلح عند أبو الوليد الباجي الحجاج مرادف للجدل، وهذا من زاوية الاتصال المصطلحي، وعلاقته بما يتصل به، فالجدل مصطلح ذو صلة مباشرة في الدلالة من ناحية الترادف أو بعض الخروج البسيط عن المعنى، ولذا فقد توسع صولة في مناقشة المصطلح، فعرض المصطلح عند الزركشي والسيوطي على أن الحجاج أيضًا مرادف

[17] - الشمري، مهدي صالح سلطان، في المصطلح ولغة العلم، جامعة بغداد كلية الآداب، بغداد، دط، 2012م، ص59

[18] - سورة البقرة، ج2، ص258

[19] ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، دط، 1984م، ج3، ص32/31، و ج5، ص194

للجدل من زاوية المذهب الكلامي كما ظهر له، لكنه يرى أن هذين المصطلحين يوجد بينهما فرق في الدلالة وأن الجدل أضيق من الحجاج؛ لأن الجدل يدخل في المنطق كما في تعريف الجدل: "معرفة بالقواعد من الحدود والآداب في الاستدلال التي يُتوصل بها إلى حفظ رأي وهدمه سواء كان ذلك الرأي في الفقه أو غيره"[20]، بهذا يرى أن الحجاج أوسع من الجدل، أي أنه يدرك أن مصطلح "الحجاج" هو محور نظرية الحجاج ولابد أن يكون بحجم "القوة المصطلحية"؛ لتقف عليه بقية مصطلحات نظرية الحجاج.

### 3-1-2- مصطلح الاقتضاء:

هو من المصطلحات التي اهتم بها علماء الأصول، والاقتضاء أورده صولة في دراسته لما له من علاقة مباشرة بالدلالة، أي دلالة الألفاظ؛ لأنَّ "الكلمة" وعلاقاتها بغيرها من المستويات هو محور الدراسات الأسلوبية، ولا يمكن أن نتبين البعد الحجاجي للكلمة إلا بالحديث عن الاقتضاء الدلالي فيها، ولأهمية المصطلح في الدراسات العربية فقد تناول مصطلح الاقتضاء بالتعريف عند كل من:

عرّف أبو حامد الغزالي( ت 505هـ/ 1111م): الاقتضاء بقوله: "هو الذي لا يدل عليه اللفظ ولا يكون منطوقًا به ولكن يكون من ضرورة اللفظ إما من حيث لا يمكن كون المتكلم صادقًا إلا به أو من حيث يمتنع وجود الملفوظ شرعًا إلا به أو من حيث يمتنع ثبوته عقلًا إلا به"[21]، كان الحديث في هذا الجزء عن دلالة الألفاظ ومدلولها، وهو من مباحث الدلالة عند الأصوليين؛ لأنَّ هذا يتعلق بقضايا الشرع، والمصطلح له مكانة من زاوية دينية.

وعند الشريف الجرجاني (ت 816هـ/ 1413م)، وهو أحد اللغويين والفقهاء والفلاسفة، بقوله: "مقتضى النص هو عبارة عن جعل غير المنطوق منطوقًا لتصحيح المنطوق. مثاله: تحرير رقبة. وهو مقتضٍ شرعًا لكونها مملوكة إذ لا عتق فيما لا يملكه ابن آدم فيزاد عليه ليكون تقدير الكلام: فتحرير رقبة مملوكة"[22] في إطار الحديث عن المعنى الشرعي، والتشريع الفقهي، وكلاهما لم يخرج عن دلالة اللفظ القرآني، وهو محور استدلال عبد الله صولة في بحثه.

لكنه اهتم هنا بمقتضى الدلالة المعجمية فهو يرى أن المقتضى "من ضرورة اللفظ"، ولا يمكن الحديث عن الدلالة إلا به، فخرج من المصطلح الفقهي والشرعي إلى المصطلح النحوي/ اللغوي للاقتضاء وهو مصطلح ابن فارس الذي قسّم الأسماء من حيث مقتضاها إلى ثلاثة: اسم فارق، واسم مفارق، واسم مقتضٍ[23]، فالمقتضى كما حلّله من الناحية المعجمية أو التركيب يمتلك القوة أمام التحولات الدلالية، ويصمد أمام النفي، ولذا تصاغ المعلومات التي نحتاجها في شكل مقتضيات، ثم توسع في شرح المقتضيات من الكلمة ليؤكد لنا القدرة العلمية على الغوص في دلالة المصطلح و وعلى تطبيقها في كلام الله، كون المقتضى وسيلة حجاج ناجعة كما يقول.

### 3-1-3- مصطلح العدول:

في العادة هناك مصطلحات أساس/ أو قاعدية، تبنى عليها مصطلحات أخرى، أو تستخرج منها، ليكتمل

[20] - أورد صولة تعريف ابن خلدون للجدل، صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن، ص16/15
[21] - الغزالي، أبو حامد، المستصفى من علم الأصول، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1993م، ص186
[22] - الشريف الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، طبعة جديدة، 1985م، 244
[23] - صولة عبد الله، الحجاج في القرآن، مرجع سابق، ص89

البناء المصطلحي في أية نظرية كانت، ومصطلح العدول من مصطلحات دراسة التراكيب أو المستوى التركيبي في "الأسلوبية"، أو "الانزياح" الذي يسميه بعض الدارسين يقف على مصطلحات أخرى قبله، من هذه المصطلحات: الكلام، الجملة، وغيرها، لذا لم يغفل صولة عن تعريف بعض المصطلحات مثل الجملة والكلام، ليبين تعريف العدول كما يجتهد في تعريفه هو، ففي تعريف "الجملة" مصطلحًا نحويًا علميًا، يأتي بتعريف ابن جني للجملة الذي أخذه من بعد الزمخشري وكذلك ابن يعيش النحوي، "أنه في لغة العرب عبارة عن الألفاظ القائمة برؤوسها، المستغنية عن غيرها وهي التي يسميها أهل الصناعة الجمل"، وكذلك ما أورده ابن يعيش :"الكلام عند النحويين عبارة عن كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه ويسمى الجملة"[24]، ركز صولة على "الإفادة والاستقلال" في الجملة، وأن الجملة تكون مشتملة على التركيب الإسنادي لتفيد المعنى، والتركيب الإسنادي له دلالته المباشرة وغير المباشرة، وتنشأ فيه أنواع من العلاقات، وأن من خصائص التراكيب الإطناب والإيجاز، والتراكيب القرآنية تشملها هذه الخاصية بكثرة، والجملة فيها لها دلالتها الخبرية الابتدائية، وما زيد عن هذا المعنى يُعدّ "عدولًا".

فالعدول عند صولة أن الجملة "إذا زيدت بتأثير المقام أو لخلق مقام لفظًا لإفادة معنى زائد على معناها الأصلي الذي لها في صورتها الخبرية الابتدائية تلك سُمّي ذلك عندنا عدولًا كميّا بالزيادة وإذا أُنقِص منها بفعل المقام أو لصنع مقام أيضًا لفظ لفائدة معنوية ما سمينا ذلك عدولًا كميّا بالنقصان"[25]، العدل أو العدول عند اللغويين هو "أن تريد لفظًا فتعدل عن اللفظ الذي تريد إلى آخره، وموضع النقل فيه أن المسموع يلفظ به والمراد به غيره"[26].

نقل صولة العدل أو العدول من اللفظ إلى المعنى، لكنه حدد أيضًا حجم المعنى الذي سينقل، فقد قسم العدول على قسمين: عدول زيادة، وعدول نقصان، وهذا بخلاف ما عُرِف عن العدول؛ لأن الأوائل لم يعدوا النقل في المعنى عدولًا وحصروه في اللفظ فقط، لكنه أدخل المصطلح في التراكيب كما فعل أساتذة البلاغة المعاصرين، عبد الحكيم راضي في كتابه نظرية اللغة في النقد العربي القديم، ومحمد عبد المطلب في كتابه البلاغة والأسلوبية، ثم فصّلَ في أشكال العدول في الزيادة والنقصان والعدول النوعي وكيفية الحجاج به، في مبحث متكامل.

هذه المصطلحات كان لها الحظ الأوفر من النقاش، في الفكر العربي القديم والحديث، وتعامل معها صولة بمسؤولية الباحث المؤصّل لها، نجح في ربطها بنظرية الحجاج بشكل مباشر، الحجاج والاقتضاء والعدول، وعلاقة ذلك بمنهج البحث وموضوعه وتأثير ذلك في المتلقي.

### 3-2- المصطلح الأجنبي:

وهو المصطلح المنقول من لغة أجنبية غير العربية كالفرنسية والإنجليزية، اللتين نقل عنهما عبد الله صولة في كتاباته، وأبحاثه، ولأن نظرية الحجاج المعاصرة أتت من الغرب، فإن صولة عمل على استيعاب المصطلح الأجنبي، ثم نقَلَه إلى العربية، مراعيًا حساسية المعنى في اللغتين، الناقلة والمنقولة، ومراعيًا

[24] - صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن، مرجع سابق، ص239/238
[25] - صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن، مرجع سابق، ص242
[26] - عبد السلام، محمد إبراهيم، ظاهرة العدول في اللغة العربية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى كلية اللغة العربية، 1420هـ/ 1989م، ص5 تعريف ابن فارس اللغوي للعدول أو العدل.

الفروق الدلالية بين المصطلحات، التي اتفق واختلف مع بعض الباحثين في نقلها.

اعتمد بشكل كبير في مصطلحاته على مؤلف بيرلمان وتيتيكاه Traité de l'argumentation. La nouvelle rhétorique "مصنف في الحجاج: البلاغة الجديدة"، وقد عمل ملخّصًا له في كتابه "في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات"، نعرض هنا المصطلحات الشائكة التي اختلف فيها المترجمون، منهم عبد الله صولة.

### 3-2-1- الخطابة الجديدة:

ترجم صولة العنوان السابق "مصنف في الحجاج، الخطابة الجديدة، وأقرها في دراسته عن الكتاب، أما المترجمة العراقية أنوار طاهر فقد ترجمت المصطلح إلى البلاغة الجديدة في مقالتها المترجمة عن بيرلمان في جدلية العقل الحجاجي[27]، وكذلك البلاغي محمد العمري – أيضًا– ترجم المصطلح إلى :البلاغة الجديدة في كتابه أسئلة البلاغة[28] ، ومحمد مشبال إلى البلاغة الجديدة في كتابه محاضرات في البلاغة الجديدة، أي البلاغة التي أتى بها بيرلمان وتيتيكاه في كتابهما، أما الحسين بو هاشم مؤلف كتاب نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان فقد وافق عبد الله صولة وترجمها إلى الخطابة الجديدة[29] وغيرهم، لماذا ترجم صولة المصطلح "rhetorique " إلى الخطابة؟

فهم صولة من كتاب المؤلفين أنهما يخرجان "الحجاج" في صورة متصلة بالخطابة والجدل، وهما على علاقة مباشرة بالمنطق، أرادا التخلص من الصيغة المنطقية، ومن المغالطة والتلاعب بالجمهور والمناورة الملتصقة بالخطابة، إلى خطابة جديدة كما يفهم، فيقول" ما فهمناه من كلام المؤلفين في كتاب "مصنف في الحجاج، الخطابة الجديدة" أن تحقيق الاقتناع conviction الذي هو غاية الحجاج يقع في منطقة وسطى بين الاستدلال la demonstration والإقناع La persuasion" [30].

بمعنى أنه رأى أن الاستدلال والإقناع من وظائف الخطابة، وأن التأثير في العواطف من وظائف البلاغة؛ لذا كان الترجيح على ترجمة المصطلح على الخطابة، وتجنب في دراسته الخوض في مسائل البلاغة، أما من ترجم المصطلح بـ"البلاغة" فقد ركز على الإقناع العقلي بتجريده من العواطف، وهذا نوع من التأثير الجديد هو أدخل في البلاغة؛ لأنَّهما تخلصا من "الخطابة والجدل" فكيف سيلجأون إليها مرة أخرى؟

### 3-2-2 الاقتناع:

ترجم عبد الله صولة مصطلح Conviction إلى "الاقتناع" بما لمسه من هذا المعنى، وهذا المصطلح يحمل الكثير من المعاني في الفرنسية، وقسم الحجاج عندهما إلى حجاج اقتناع، وحجاج إقناع، وقال غاية الحجاج "الاقتناع"، وأن الحجاج الاقتناعي لكل ذي عقل، أي حجاج عام، والحجاج الإقناعي حجاج خاص[31]؛ إذ هو أساس الإذعان والحجاج.

اعترض الحسين بوهاشم على مصطلح "الاقتناع"، أو "الحمل على الاقتناع" الذي أتي به صولة، وقال هذا

[27]- بيرلمان، شاييم، مقالة: في جدلية العقل الحجاجي، ت/أنوار طاهر، مركز أفكار للدراسات والأبحاث، 2020م، https://afkaar.center/2020/03/17/%D9%81%D9%8A-%D8%AC%D8%AF%D9%84%D9%8A%D8%A9

[28] - العمري، محمد، أسئلة البلاغة، مرجع سابق، ص15

[29] - بو هاشم، الحسين، نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، مرجع سابق، ص5 المقدمة

[30] - صولة، عبد الله، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مرجع سابق، ص14

[31] - صولة، عبد الله، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مرجع سابق، ص15

لا يفي بالغرض، فيرى أن "الحمل على الاقتناع" تثقل على القارئ، وتخرق قانون الاقتصاد اللغوي[32] ولا تبرزان الجانب العقلي للحجاج فيه، وتعبّر "اقتناع" عن ثنائية بلفظين من نفس الجذر: إقناع/ اقتناع، ويرى بوهاشم أن الترجمة الأنسب لـ conviction هي "التصديق".

يعود صولة في دراسة تطبيقية للخطاب الحجاجي في كتاب "الأيام" ل/طه حسين، ويترك مصطلح الاقتناع ليعدل بذلك إلى "التصديق"؛ إذ يستخرج من حجاج بيرلمان غاية التصديق التي كانت من قبل "الاقتناع"، وفي الدراسة "الحمل على التصديق"[33]، في مقابل "الحمل على الاقتناع" التي ذكرها في التنظير، ويستمر يتحدث عن أشكال التصديق إلى نهاية الدراسة

في حين يترجمها المعجم ب: يقين، اعتقاد راسخ، تحقُّق، تجريم[34]، من باب معنى "اليقين" جعل الاقتناع هو الأنسب لترجمة المصطلح.

### 3-2-3 الأفودقطيقي:

في خطابة أرسطو قسم أرسطو الخطابة إلى ثلاثة : استشارية، قضائية، واحتفالية، في القسم الثاني الخطابة القضائية ترجمها بعضهم المشاجرية، وذلك لأنها في مشاجرات المحاكم، أي الفصل في المشاجرات والمنازعات، كما ترجم عبدالقادر الفهيري المصطلح في ترجمته لكتاب الحجاج ل/ بلانتان، وقد ترجمها صولة المشاجري أيضًا، أما القسم الثالث فهو Epidictique فقد اختلف المترجمون في ترجمته، فقد ترجمه تكتك إكرام "المفاضلة"[35]، لما في المعنى من "العرض"، وفي العرض يظهر السيء والجميل، فيكون هناك "مفاضلة" بشكل غير معلن، كذلك محمد العمري ترجمه أيضًا "المفاضلة"[36]، وقد ترجمها لعلاونة محمد الأمين ال"تثبيتي"[37]، من التثبيت وهو الرسوخ واليقين للمعنى. وترجمها محمد الولي "الخطابة الاحتفالية"[38]، وهي الترجمة التي شاعت.

أما عبد الله صولة فهو من الأوائل الذين ترجموا المصطلح، لكنه لم يجد له لفظة مناسبة، فعاد على التراث العربي القديم، فهو يرى أن هذا النوع من الخطب ويسميه الخطابة "الأفودقطيقية" البرهانية يقول:" من أفودقطيقي ومعناها الإيضاح انظر الخوارزمي مفاتيح العلوم الباب الثاني فصل أفودقطيقي"[39]، فهو يلجأ إلى الإحالة مباشرة إلى مصدر الترجمة، حتى لا يحدث مساءلة حول المصطلح؛ لأنَّ الخوارزمي ثقة في تعريب المصطلح، وهذا النوع عنده يهتم بالمدح والذم أي بالقيم، ويعرّف "الأفودقطيقي" بالأدب أي النثر الأدبي، ويشترط الجمال في هذا النوع لأن الخطابة لابد أن تكون جميلة. وعنده أن الخطاب الأفودقطيقي أقرب إلى التربية منه إلى الداعية، أي غايته هو الخطاب التربوي، وهو ما يعتقده الجمهور ويؤمن به.

وافقت بقية المصطلحات الواردة في كتابيه مصطلحات المترجمين الآخرين، وقد كان هذا بيانًا للطريقة التي تعامل بها مع المصطلح، فهو حريص

---

[32] بو هاشم، الحسين، نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، مرجع سابق، ص18

[33] - صولة، عبد الله، في نظرية الحجاج،مرجع سابق، ص144

[34] القاموس فرنسي- عربي، الدار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2004م، ص206

[35] - إكرام، تكتك، مقالة الحجاج والبلاغة الجديدة، مجلة الحقيقة، العدد31، جامعة أحمد دراية أدرار، الجزائر، ص33 j/https://www.asjp.cerist.dz/en/downSomaitepdf/49/13/4/14106

[36] - العمري، محمد، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، مرجع سابق، ص12

[37] - الأمين، لعلاونة محمد، مبادئ في الدرس الحجاجي، دار المجدد للنشر والتوزيع، سطيف- الجزائر،دط، دت، ص18

[38] - الولي، محمد، الخطابة والحجاج بين أفلاطون وأرسطو وبيرلمان، دار التجاح للنشر، الدار البيضاء، ط1، 2020م، ص81

[39] - صولة، عبد الله، في نظرية الحجاج، مرجع سابق، ص19

على ترك بصمة مصطلحية تميّزه عن بقية الدارسين والشارحين للخطابة الجديدة، أمثال محمد الولي في كتابه "الخطابة والحجاج"، ومحمد العمري في كتابه "البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول"، فهو طرح صيغة مصطلحية متكاملة تقارب بين ما شاع من مصطلحات في الثقافة العربية وجدّة المصطلح الغربي، كي لا يشعر القارئ العربي بالفجوة المعرفية بين ما هو موجود، وما يترجم من الثقافات الغربية.

مما سبق رأينا أن عبد الله صولة، يقف على المصطلح بعد تمحيص وقراءة عميقة لمرجعية المصطلح، ولا يترجمه حرفيًا، كما يفعل غيره، فالمعنى هو المسيطر على المصطلح، فهو يعرف جيدًا أهمية المصطلح في البناء النظري لأي علم.

## 4- النظرية:

### 4-1 ما النظرية؟

النظرية من المصطلحات التي يكمن فيها بعض الغموض، فنجد الكثير من الكتب التي تبدأ عناوينها بكلمة نظرية، ثم لا نجد أي كلام عن ذلك، وتظهر النظرية هنا بمعنى كل تفكير عام؛ لأنَّ هؤلاء لا يعرّفون النظرية. تظهر النظرية في الأدب والنقد بأنها مجموعة من الافتراضات والتصورات المنتظمة، أو كما عرفها جوناثان كالر" نسق من الافتراضات المتعارف عليها"[40] في تعريفه للنظرية النسبية مثالًا للنظرية، ويكون لديها القدرة على التفسير والتوضيح للمشاكل والظواهر المعروضة عليها، مع وجود بعض التعقيدات، لتثبت أن أفكارها ليست ساذجة، هذه التعقيدات تخرج بها من السطحية إلى العمق، ومن ثم نستطيع أن نقول إنها نظرية؛ لأنَّها تحتاج منّا جهدًا ذهنيًا لفهمها وشرح أفكارها.

فعندما يقول شخص "تقول نظريتي إن ..." معناه أن هناك تصوّرًا شخصيًا لقضية ما، في هذه التصور فرضية ما، يعتمد عليها ليقول إنها نظرية، مع ذلك هو تصوّر، أو تفكّر، ولذلك ينبغي أن تكون النظرية أكبر وأعمق من التصور، ولا تكون واضحة لعامة الناس، "فهي تنطوي على علاقات معقدة من الصنف المنظوم بين عدة عوامل، ولا يمكن تأكيدها أو إثباتها بسهولة"[41]، هذه العلاقات المعقدة هي التي جعلت منها نظرية.

لسنا هنا بصدد الحديث عن إثبات النظريات أو نفيها، بل بيان بعض ملامح التفكير في النظرية، أو ما يكون نظريةً بالنسبة لحقل معين، كحقل اللغة مثلًا أو الأدب، فأقول نظرية اللغة، أو النظرية اللغوية بمعنى أن هناك رؤية جديدة في التفكير اللغوي، تعمل على قطع الصلة بما قبلها أو تجديد المصطلحات بمفاهيم جديدة، تنعكس على مجال واسع في الفكر اللغوي، وعلى ذلك قسْ! فنقول النظرية الأدبية، والنظرية البلاغية، وغيرها.

أما معالم النظرية عند عبد الله صولة فهي : فإنا ننظر إليه من بداية التوافق بين "مصطلح نظرية"، و"مصطلح الحجاج"، فهو غض الطرف عن مصطلح "نظرية الحجاج"، في كتابه "الحجاج في القرآن"؛ إذ شرح مفهوم الحجاج، على أنه مفهوم عام، وُجِد في الكثير من كتب التفسير والأصول، في الثقافة العربية، ومفهوم –أيضًا– له علاقة بالثقافة القديمة الغربية (اليونانية)، فهو لم يكن مهووسًا بالمصطلح، بقدر

[40] - كالر، جوناثان، النظرية الأدبية، ت/ رشاد عبدالقادر، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، دط، 2004م، ص10

[41] كالر، جوناثان، النظرية الأدبية، مرجع سابق، ص11

رغبته بالبحث عن قضية بحثية في الخطاب القرآني، وهو يرى أن الحجاج بصيغته تلك أشمل من النظرية، وأكبر من حجمها، ربما لقداسة لفظة "حاجج"، التي وردت في بعض سور القرآن، ولذا رأى أن المفهوم سبق النظرية؛ إذ النظرية هي ابنة هذا العصر، خصوصًا النصف الأخير من القرن الماضي، لكن المحاججة موجودة بوجود البشر، وكأنها صورة من صور التفلسف؛ إذ لم يطل الحديث في هذا الجانب.

فقد تم البحث عمّا قدمه علماء البلاغة والحجاج في الغرب، وما قدمه المفسرون والأصوليون من مفاهيم، ففي حديثه عما وجده من أطروحات بشأن الحجاج فقد سمّاها "مفاهيم"، ولذا عرض المفاهيم المهمة للحجاج، كما مرّ بنا، مثل الحجاج والجدل والخطابة، والإقناع، والتأثير، والعقل، وكلها مصطلحات مستخدمة في الحياة اليومية، ونجدها –أيضًا– في الاجتماعات التي ندعو لإقامتها، أو يطلب منا الحضور إليها، ولا تعمل منفردة، بل ضمن شبكة من المصطلحات لتصل إلينا الرؤى والأفكار والحجج، وهي مما يحدث حولها خلاف في المعنى، عند الدارسين.

### 4-2 التحول المفهومي:

تعرض مفهوم الحجاج في القديم للأخذ والرد، بين المفسرين، فقد كان مفهوم الحجاج في القيم مرادفًا للجدل، ثم قاسمًا مشتركًا بين الجدل والخطابة، ثم التحول المفهومي في الدراسة التي أتت بجهود علماء الغرب وإخراجه مما كان فيه إلى عالم جديد، هو عالم الثورة اللغوية التي بعثها فرديناند دوسوسير، وتأسيس نظرية اللغة في الغرب، استقل مفهوم الحجاج، بنفسه، ودخل في اللغة، فقد لاحظ صولة خروج المصطلح من البرهنة، والاستدلال المنطقي الصوري إلى فضاء التأثير والإقناع، يرى أن معناه بالفرنسية أضيق فهو يرادف الاستدلال والبرهان، وأن الحجاج أشمل وأوسع من الاستدلال البرهاني[42].

أدرك صولة تحولات فهم الحجة والحجج في مفهوم الحجاج؛ إذ وقف عند الصورة التي قدمها بيرلمان وتيتيكاه وتولمين، الوعي بالتحول هو الوعي بالتغيرات الفكرية التي تصاحب حقل البلاغة والتفكير اللغوي، وكذلك الوعي بالتاريخ القرائي للأفكار، ونشوء النظريات، وتحركها على المجالات البحثية المختلفة، وقد رصد ذلك من عمل بيرلمان وتيتيكاه مصنف في الحجاج، اللذين أعادا قراءة مفهوم الحجاج وأحدثا صدعًا في المفهوم الأرسطي، هذه المفارقة كانت هي المنطلق المؤسس لفكر عبد الله صولة في التفكير الحجاجي، لكنه لم يرصد التطوير الذي أحدثه بيرلمان في كتابه إمبراطورية الخطابة لكتابهما مصنف في الحجاج الذي توسع فيه بتطوير الرؤية إلى المتلقي الكوني وتعميم رؤية الحجاج ليكون أشمل لكل عقل، أي الحجاج بنية عقلانية تجاوزت المحلية الضيقة إلى الحوارية، وفي كل الأحوال تحول بلاغي لمفهوم الحجاج.

أما النقلة النوعية لمفهوم الحجاج التي ظهرت فقد كانت على يد ديكرو وأنسكومبر في كتابهما الحجاج في اللغة، فهما فتحا له الباب للولوج إلى العالَم اللغوي، بقدراته، وكشف الحجب، والنظر في إمكانات اللغة الهائلة على الإقناع، بعد أن بيّن هؤلاء ل/صولة أهمية المستويات اللغوية المعجمية والتركيبية والدلالية والتداولية في الحجاج واستحضار الحجة، والإقناع عبر الحجة، وهنا أدرك صولة العمل النظري، وأهمية

[42]- صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن، مرجع سابق، ص9

النظرية، أو اكتملت لديه الرؤية النظرية التي شقاها البعد البلاغي، والشق الآخر البعد اللغوي.

فالتحول المفهومي للحجاج فتح له آفاق التفكير في النظرية، أي نظرية الحجاج بشكل واضح وصريح، وإن لم يورد مصطلح "نظرية الحجاج" بهذه الصيغة الإضافية كثيرًا في تنظيره وتطبيقه، مع وجود المحاذير المرافقة لقراءة الحجاج في القرآن خصوصًا؛ لأن القرآن كتابًا مقدسًا، فهو راعى هذه المحاذير.

### 3-4 تناسل النظريات والتصورات:

المقصود هنا بتناسل النظريات، أن القضية البحثية تفرض نظرية، ولتفسير هذه النظرية والعمل بآلياتها، يجب أن تأتي بنظريات أصغر منها، تفسّر بعض ملامحها؛ إذا كانت هناك بعض المفاهيم المعقدة، في قضية البحث، كما هو معنا في مفهوم الحجاج، وتطبيق آليات اشتغال الحجاج في القرآن وفي خطابات أخرى.

مفهوم الحجاج في دراسة صولة اقتضى الحديث عن نظريات الحجاج الحديثة، وقد ركّز على النظريات الأربع المهمة (بيرلمان- تيتيكاه، مايير، تولمين، ديكرو- أنسكومبر)، لكنه لم يذكر فكرة النظرية إلا في حالة واحدة ، في حديثه عن حجاج ميشيل مايير؛ إذ صنّفها بأنها "نظرية المساءلة"[43]، الحجة جواب أو وجهة نظر يجاب بها، لكنه كان يدرك أن كل مفهوم أتى به أحد المفكرين البلاغيين واللغويين أو البراجماتيين هو في حد ذاته نظرية مستقلة في الحجاج.

إذ في التأصيل لنظريات الحجاج تاريخيًا قام فيليب بروتون و جيل جوتييه في كتابهما برصد التحولات التاريخية للحجاج منذ العهد اليوناني القديم إلى هذا العصر، وقد أعدوا كل تصور للحجاج نظريةً، لكن هناك تصورًا أشمل هو نظرية الحجاج من الناحية المعرفية، النظرية الأوسع والأشمل لكل تصور ومفهوم للحجاج، يمكن أن نطلق عليها "النظرية العامة للحجاج"، ثم يأتي المؤلفان ويعتبران ما قبل أرسطو نظريات، وما بين عنوانين تكمن قضية "نظرية الحجاج" العنوان الأول : في ميلاد البلاغة، "النظريات الأولى في الحجاج" يتحدثان عما قبل أرسطو، ثم في فصل لاحق يتحدثان عن "أرسطو وأساسيات نظرية الحجاج، فالنظريات الأولى التي ذكراها هي مفاهيم و مصطلحات الحجاج والتصورات الذهنية الأولية، وهي مجموعة أفكار لا ترقى إلى مفهوم النظرية المعاصرة، فهي أفكار السوفسطائيين أو سقراط أو أفلاطون، وهي أفكار أولية لا ترقى إلى مستوى النظرية، لكنهما بالغا في التصور والتقديم لها، أما في وضع أرسطو فقد تحدثا عن أساسيات النظرية، بمعنى أن هناك تصورًا أوسع وأشمل للمفهوم، يرقى به إلى مستوى النظرية المعاصرة، وأن هذا هو الأساس للحديث عن نظرية معاصرة للحجاج، أي تمتلك مقومات التفكير العصري ليتم ربط نظريات اليوم بنظرية أرسطو إذا جاز لنا القول.

ولأن مفهوم الحجاج له علاقة بالقرآن في ثقافتنا فلا تستطيع نظرية واحدة أو اثنتان أن تستوعبه، لكنه جعل نظرية الحجاج تستدعي مجموعة من التصورات والنظريات المجاورة لهذا الحقل البلاغي، أي نظريات اللغة، لتقديم صورة واضحة عن ذلك، فتطبيق نظرية الحجاج استدعى البحث عما يساندها من تصورات، فمثلًا: الإطناب، يرقى "الإطناب" إلى مستوى النظرية إذا نظرنا له في علاقاته مع مستويات اللغة الأخرى،

[43] - صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن، مرجع سابق، ص38

وربطنا تصور الأسلوبيات الحديثة بعضه ببعض، ليعطي رؤية جامعة ل"الإطناب".

### 4-4 التصور المقارب للنظرية/ أو ما عُدّ نظريةً:

جاء في تعريف النظرية سابقًا أن التصور الشخصي في قضية ما بما فيه من منظومة أفكار، يعدّ نظرية أو يقارب التفكير النظري، لذا جاءت النظرية باسم أشخاص، أو لنقل عُرفت النظرية من خلال أشخاص، كوهين، لاكان، فرويد، ريفاتير، دريدا..... إلخ، أو كل تصور فيه معتقد يدافع صاحبه عنه، وقد عدّ عبد الله صولة أن كل تصوّر لخصومة في القرآن بعدٌ نظريٌّ، أو عدها نظريات، كما في حديثه عن "البعد المفهومي في العدول الكمي"، ومعنى المفهوم الدلالي، وما يقوم به "التوكيد"، من هدم للتصورات والأفكار والمفاهيم، داخل نظريات سماها نظريات القرآن، المتعددة الأصوات، أو الحوارية، الصوت وخصمه، كما سنرى: هدم النظرية: أخذ عبد الله صولة مصطلح "نظرية الخصوم" من الحقل القانوني، قانون المرافعات، وتتبع الفكرة في القرآن، ووصفها بالنظرية القائمة، وهي "مجمل الأفكار والآراء والمكونات العقدية التي تشكل عالم خطاب الخصوم المخاطبين بالكلام القرآني أو المتحدث عنهم فيه" [44]، أي أفكار ومعتقدات الأشخاص الذين خاصموا الله تعالى ورسله فيما قبل الإسلام، أو الكفار والمشركين في عهد سيدنا محمد، أو من سيكون على شاكلتهم وسيحمل تصوراتهم في المستقبل بالنسبة لوقت نزول القرآن، ففي الآيات الآتية :"ثم إنكم يوم القيامة تبعثون"(المؤمنون /16 )، "إن الساعة لآتية" ( غافر /59 )، "إنكم لذائقوا العذاب الأليم" ( الصافات /38 )، النظريات المهدومة هي: البعث، البعث ليس كذبًا، كما تعتقدون أو كما يعتقدون ، وكذلك هدم لنظرية الإنكار لعذاب الآخرة والحساب واليوم الآخر، جاء هذا الهدم باستخدام التوكيد بـ"إنّ" وحدها، أو بصحبة اللام، فهناك نظريات باطلة أتي القرآن بهدمها وهي نظرية خصوم رسالة سيدنا محمد وألسنتهم وأفكارهم ومجالسهم وسرهم وجهرهم، فالجملة القرآنية التوكيدية الحوارية المتعددة الأصوات بذهابها في التوكيد إلى أقصاه هدمت نظرية الخصوم وسدّت أمامهم طريق العودة إلى بنائها من جديد[45].

كذلك هدمت نظريات القرآن ما لم يجر على ألسنة الخصوم، لكنه يحتمل أن تجري به ألسنتهم، وفيه يتم الرد على معتقد المخاطب وقلبه وتغيير اعتقاده، وسماه صولة هدم النظرية المحتملة، منطوق الآية: " الذين آمنوا وكانوا يتقون. لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم" (يونس / 63- 64 ) ففيها هدم الرأي المحتمل القائل إن الفوز هو فوز الدنيا فقط. كذلك هدم نظرية العباس بن عبد المطلب عندما دعاه الإمام علي إلى اللحاق برسول الله إلى المدينة والهجرة، وادعى بأنه يسقي الحاج ويعمر المسجد الحرام، وشملت الرؤية كل من يحتمل أن يقول كما قال العباس، فتم إبطال نظرية العباس بالآية الكريمة، قوله تعالى: "أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون" (التوبة /19)، أي الرد بـ"القصر الحقيقي الادعائي" كما يسميه صولة، وهو من أساليب التوكيد عنده.

بناء النظرية: هو معالجة المفهوم الدلالي، لكن بتشييد المفهوم عبر اللغة المنطوقة، ويكون ذلك بـ"إن" واللام لكنه ليس لرد الإنكار دائما كما يرى عبد القاهر

[44] - صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن، مرجع سابق، ص270

[45] - صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن، مرجع سابق، ص274

الجرجاني، فصولة يرى أنه يكون "للتنبيه والتذكير بما ينبغي عليه" وتشييد النظرية يكون على ما هو موجود من قبل، وهذا الموجود معلوم عند المخاطبين ويمثل حجر الزاوية أو "البؤرة"، وعملية التبئير تخرج القضية من "كونها محتوى نظريًا مجردًا أو على الأقل محتوى إخباريًا معلومًا محايدًا إلى كونها جزءًا أساسيًا في هذه النظرية"[46]، ففي قوله تعالى: "ثم إنكم بعد ذلك لميّتون" (المؤمنون /15)، يرى صولة أن سياق الآية العام هو التعريض بالمشركين المنكرين البعث والتوحيد، والقضية المسلّم بها من المشركين هي حتمية الموت، وتبئير القضية إدخال إنّ واللام عليها إنكم لميّتون، والنتيجة أو النظرية المفهومة ضرورةً هي أن الموت داعية إلى الإيمان بالله وبوجود البعث والحياة الأخرى. وهكذا يعمل المفهوم عنده على بناء المعتقد أو بناء النظرية التي تكون أجزاؤها أو مقدماتها مما يصنعه المخاطب نفسه أو مما يعتقده.

### 4-5 تصوّرات التفسير والبلاغة:

لأننا أمام الخطاب القرآني؛ فقد خرجت تصورات المعاني من تفسير القرآن الكريم، وكذلك المصطلحات البلاغية، ولذا كل من اشتغل بالخطاب القرآني دراسةً وفهمًا في أي مجال من مجالات البحث، لزم عليه أن يلجأ على كتب المفسرين القدماء وبعض المحدثين، وبعض علماء اللغة الذين لهم نصيب من تفسير القرآن، وقد كان لهؤلاء العلماء والمفسّرين السبق في الوقوف على بعض المفاهيم والأفكار والتصورات والمعاني القرآنية، وقد اعتمد عبد الله صولة على بعضهم اعتمادًا ملحوظًا أخذًا وردًّا، وناقش معهم مسائل بلاغية ولغوية بصوت مسموع، مخرجًا إياها من حيّز المعنى الضيّق إلى البعد الحجاجي الأوسع، ولذا فهي تصورات ومفاهيم تدخل في "نظرية المعنى" إذا جاز لنا القول، من هؤلاء:

### 4-5-1 تصورات الزمخشري:

الزمخشري: هو محمود بن عمر بن محمد بن عمر، وُلد في زمخشر، من قرى خوارزم، (467هـ - 583هـ)[47]، حنفي المذهب، وكان يبجّل الإمام الشافعي ويحث على تعلم فقهه، وكان معتزليًا، متعصبًا، رجله مقطوعة، وتضاربت الأخبار عن سبب قطعها، لكنه كان من أعلم الناس بالعربية، وكان يعلم أهل فارس العربية، ألّف الزمخشري في اللغة والنحو والفقه والحديث والبلاغة، والتفسير، وكانت مؤلفاته في غاية النضج الفكري، فهي من أمهات العلوم، أخذ اللغة من بوادي نجد والحجاز وتهامة، من علماء البصرة والكوفة، وصار من أهم علماء عصره.

عمل الزمخشري على تأهيل ذاته علميًا للوصول إلى علم التفسير، فالمفسر لابد أن يمتلك الثقافة الواسعة التي يصل بها إلى أعماق النص، ولذا يعد الزمخشري المفسّر المثقف، الذي أخذ من كل المناهل العلمية، التاريخ والعقائد والعلوم والفلسفة والأصول واللغة، عن وعي وفهم، وهذه العلوم هي التي كونت شخصية المفسر، الذي خرج من السطحية والعجز الذي أصيب بهما مفسرو زمانه، فقد شن عليهم الهجوم اللاذع بسبب تقصيرهم في أخذ العلوم المتعددة، فقد كان يرى أن آلة التفسير هما علما البيان والمعاني ولابد من تعلمهما لتفسير النص القرآني.

ظهر الزمخشري أكبر دارس للبلاغة، حينها، خصوصًا بلاغة القرآن، في كتابه الكشاف الذي ظهر

[46] - صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن، مرجع سابق، ص283

[47] - أبو موسى، محمد حسين، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، دت، ص21

فيه البعد الاعتزالي، وكان قد كتب هذا التفسير في رعاية الشيعة الأمير الشريف الحسن بن وهاس[48]، بعد قصة المتوكل مع المعتزلة، وإن كان قد دعا لموالاة الشيعة؛ فينسب تفسير الكشاف إلى المعتزلة وإن كان الزمخشري قد تتلمذ بلاغيًا على يد عبد القاهر الجرجاني السني المعتقد، وأخذ بالكثير من مقولاته البلاغية مناقشةً ونقدًا.

بدأ الزمخشري تفسيره بالبحث عن معاني الألفاظ، ونظامها الصوتي، ما تجانس واختلف في المخارج، ثم البنية الصرفية فيها، وكانت قضية الترادف والفروق اللغوية من القضايا المحورية في بحثه، وثم دخل إلى المعاني وبناء الجملة، وعلاقة الجملة وبغيرها في التركيب والدلالة، بما له من كفاءة في علمي المعاني والبيان، اشتراطهما على كل مفسر بقوله: " ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في علمين مختصّين بالقرآن، وهما علم المعاني وعلم البيان وتمهل في ارتيادهما آونة، وتعب في التنقير عنهما أزمنة"[49]، وأكثر ما اهتم به في تفسيره هو النظم، أي نظم القرآن الكريم وإثباته، وقد وقف على كتابي الجاحظ في "نظم القرآن"، والجرجاني "دلائل الإعجاز"، في استخراج ذلك في نصوص القرآن الكريم.

لفت نظر صولة لتفسير الزمخشري قدرته على التفسير بالوجوه البلاغية، التي تحاشاها الكثير من المفسرين، وكذلك موسوعيته المعرفية، في علوم متعددة، وقد رجع إليه في مناقشة الكثير من الآراء التي تخص اللفظ والتركيب، وهي تصورات خُصّ بها الزمخشري، وآراء من أفكاره الخاصة، من هذه التصورات:

تصور لفظ "الله" جل وعلا؛ رأى الزمخشري أن لفظ "الله" اسم مرتجل وقع هكذا في أول أحواله وليس أصله إله، ثم بعد ذلك تم اشتقاق الأفعال منه، تألّه وأله واستأله كما قيل استنوق واستحجر، وقد خالفه الجمهور والراغب الأصفهاني[50]؛ إذ يعرض الزمخشري المسألة اللغوية على منطق التفكير اللغوي، الصرفي، ويقيس ذلك على ما ورد في لغة العرب، ويأتي إلى الذهن منطلق الزمخشري في اعتماد الاشتقاق أن الفعل يشتق من الاسم (المصدر) وليس العكس، فالله هنا اسم واشتُقّ منه الفعل "تألّه وأَلِهَ".

من ذلك أيضًا ما تصوره الزمخشري في ورود الفعل ومصدره أن ذلك لا يأتي إلا للتوكيد، وهو مذهب كل المفسرين كما في تفسير الآية الكريمة "ونمدّ له من العذاب مدّا" (مريم /79)، عندما أراد صولة مناقشة البعد الحجاجي في التوكيد أتى برأي الزمخشري لأنه يشبع المسألة نقاشًا.

يعد الزمخشري من مصادر عبد الله صولة التطبيقية لقدرته العقلية على استخراج المعاني الدفينة، ولتصوراته الفكرية التي يستطيع علم التفسير أن يصنف بعدها النظري، فكان رأيه حاضرًا في كثير من المسائل التي عرضها صولة في كتابه.

### 4-5-2 تصورات الزركشي:

الزركشي هو بدر الدين أبو عبد الله محمد عبد الله بن بهادر المنهاجي الزركشي، مصري المولد والنشأة والوفاة، وتركي الأصل، (745هـ – 794هـ)[51]، كان

[48] - أبو موسى، محمد حسين، البلاغة القرآنية عند الزمخشري، مرجع سابق، ص60

[49] - الزمخشري، جار الله أبو القاسم، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ت/ عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوّض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1998م، ص96

[50] - صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن، مرجع سابق، ص92- 93

[51] - ابن طرية، عمر، التفكير البلاغي عند الزركشي من خلال كتابه البرهان في علوم القرآن، أطروحة دكتوراه، جامعة لخضر باتنة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم اللغة العربية، 2009- 2010م، ص38، 84

الزركشي أصوليًا ومفسّرًا، وبلاغيًا، كان شافعي المذهب اهتم بالقرآن الكريم ودراسته، وبقضايا الفقه، وشرح بعض الأحاديث النبوية، وصنف الكتب في هذا المجال، وقد اهتم بقضايا اللغة وعلومها من خلال العمل على تفسير القرآن، والبحث في قضاياه، وقد ظهر كتابه البرهان في علوم القرآن دليلًا دامغًا على مكانته العملية وقدرته البحثية.

ركز الزركشي في كتابه على الجهد اللغوي والبلاغي بشكل مباشر، فقد قال في مقدمته: " بهرت بلاغته العقول، وظهرت فصاحته في كل مقول، وتظافر إيجازه وإعجازه، وتظاهرت حقيقته ومجازه، وتقارن في الحسن مطالعه ومقاطعه، وحوت كل البيان جوامعه وبدائعه، قد أحكم الحكيم صيغته ومبناه، وقسّم لفظه معناه، إلى ما ينشط السامع ويقرّط المسامع.. إلخ"[52].

وقف التصور البلاغي للزركشي على ما جاء في علم البلاغة من أقسام: المعاني والبيان والبديع، بدءًا بدراسة اللفظ، وأحوال الكلمة، ثم التراكيب من الخبر وأنواعه والإنشاء وأشكاله ودلالاته البلاغية، كالاستفهام مثلًا، ومعاني التقديم والتأخير، ومعاني الحروف، وأساليب الحذف ومواضعه، ثم أنواع التشبيهات والاستعارات والكنايات والمجازات، وما خالف فيه البلاغيين مثل ابن قتيبة وابن قدامة والجرجاني والسكاكي، في تعريفاتهم للمصطلحات، ثم ما جاء في علم البديع من المحسنات المعنوية مثل: الاحتراس، التتميم، والتعديد، والالتفات، وثم المحسنات اللفظية كالتجنيس ورد الأعجاز على الصدور، وغيرها.

ألهم الزركشيُّ عبد الله صولة في تناول الكثير من القضايا التي تخص حجاجية الأساليب القرآنية؛ لأنَّ الزركشي كان يطبق على النص القرآني ما فهمه من مصطلح بلاغي، وناقشه مع من سبقه، وقد أخذ تطبيق الزركشي الأبعاد المفهومية التي كان ينطلق منها مذهبيًا، في حضور "المذهبية الشافعية" التي أدركها عبد الله صولة عند الزركشي، فأورد صولة الخلاف عند العلماء حول: هل كلمة "الله" اسم أو صفة، فناقش ما أورده الزركشي حول اسمية كلمة الله، التي لا تقبل أن تكون صفة مطلقًا[53]، ورأى صولة أنها تقبل الاسمية والفعلية معًا.

ففي قضية الإطناب وبعدها الحجاجي يأتي عبد الله صولة بمصطلح "التذييل" بما عرفه الزركشي بقوله: "هو أن يؤتى بعد تمام الكلام بكلام مستقل في معنى الأول تحقيقًا لدلالة منطوق الأول أو مفهومه"[54]، أخذ عنه صولة الأبعاد الحجاجية للمفهوم، والأبعاد الحجاجية للمنطوق، للجملة الواحدة وبين الجمل، فمن تعريف الزركشي للتذييل حدد صولة ماهية المنطوق والمفهوم، وطبيعة الأبعاد الحجاجية لهما، في الخطاب القرآني، فقد كانت اشتغال الزركشي منهجًا يحتذى به، سار عليه كثير من الباحثين القدماء والمتأخرين.

أفكار الزركشي ومنهجيته البلاغية هو جزء من تصورات نظرية البلاغة؛ إذا جاز لنا القول، في تفسير النص القرآني، بطريقة أدبية وتحليل ونقد في الوقوف على الجماليات والسمات الفنية في التعبير القرآني، وما لفت نظر صولة لبلاغته هو قدرته الذكية في اكتشاف الدلالات ووضعها حسب ضروراتها،

[52] - الزركشي، بدر الدين محمد، البرهان في علوم القرآن، ت/ أبو الفضل الدمياطي، دار الحديث للنشر، القاهرة، 2006م، مقدمة المؤلف، ص15-16

[53] - صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن، مرجع سابق، ص94

[54] - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مرجع سابق، ص664

وموسوعيته، في كل علوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة، تنظيرًا وتطبيقًا.

**4-5-3 تصورات الطاهر بن عاشور:**

ابن عاشور هو محمد الطاهر بن عاشور، (1296هـ/ 1879م – 1393هـ/ 1973م)، عالم وفقيه تونسي، لأسرة من أصول أندلسية، اهتم بدراسة اللغة والبلاغة والفقه منذ صغره، فقد حفظ القرآن في السادسة من عمره، وهو من المفسرين المعاصرين الذين لفتوا الأنظار إليهم، وقد كان متميزًا جدًا على زملائه في الدراسة، عمل مدرسًا في جامعة الزيتونة في تونس، وتقلّد مناصب إدارية متعددة، وكتب مؤلفات في التفسير والبلاغة، والفقه، والخطابة، وغير ذلك.

كتب تفسير التحرير والتنوير، فقد كانت هناك أسباب وراء التأليف أوردها في مقدمة كتابه منها: " وقد نحا كثير من المفسرين بعض تلك الأفنان، ولكن فنًّا من فنون القرآن لا تخلو عن دقائقه ونكته آية من آيات القرآن، وهو فن دقائق البلاغة هو الذي لم يخصه أحد من المفسرين بكتاب كما خصّوا الأفانين الأخرى"[55]، وكان الميزة الملحوظة في البحث في فن البلاغة هو إعجاز القرآن، فهو سار على نهج من سبقوه في التفسير، لكنه أولى البلاغة الجانب الأهم، من زاوية "المقاصد اللغوية والاستعمالات"، وهي الميزة التي تفرّد بها ابن عاشور؛ إذ لم يبحث أحد في مقاصد القرآن من قبله.

وكان لمنهج ابن عاشور أثر في اختيار عبد الله صولة لتفسيره في توضيح مسائل لغوية، ذلك أن التفسير المقاصدي الذي تبنّاه الطاهر يقف أولًا عند مقاصد السورة الكلية، ويبين أغراضها، ثم يأتي إلى السورة ويأخذ مقطعًا منها ويشرع في التفسير ابتداءً من المناسبة، ثم الجانب اللغوي، ثم التفسير الإجمالي بما فيه من أسرار جمالية بلاغية، ثم مناقشة آراء العلماء في معاني الآيات، تأييدًا وترجيحًا ومعارضةً، لكنه ينفرد برأيه بقوة منطقه وذكائه، منوهًا إلى أن هذا الرأي رأيه، عارضًا ذلك على القواعد النحوية واللغوية والبلاغية، لا تخلو من طريقة فلسفية ومنطقية[56]، وأبرز ما يبدو لنا بلاغيًا هو الحديث عن مقاصد الكلام، وبلاغة الخبر والإنشاء والخبر ومقتضى الظاهر الذي توسع في الحديث عنه، وكذلك السياق والاستعمال اللغوي للمفردات، والمجاز العقلي ثم الأساليب ومنها القصر والإيجاز والإطناب وغيرها. وهي المباحث التي اشتغل عليها عبد الله صولة في كتابه الحجاج في القرآن.

كان لابن عاشور أثر مباشر في شخصية عبد الله صولة البحثية، فقد سار على خطاه العلمية، وتتبع طريقته في استخراج المعاني والمقاصد، والبحث عن المواطن البلاغية الدفينة في الآيات، خصوصًا طريقته في المناقشة؛ إذ يعمد صولة إلى إحضار آراء العلماء في المسألة ثم يناقشها، كما يفعل ابن عاشور، ثم بعد ذلك يأتي برأيه خلاصةً لما ناقش، وهي حالة من التلبس بشخصية ابن عاشور.

تصور دلالة "العهد" الواردة في النص القرآني مع ذكر بني إسرائيل في بعض الآيات، ففيها بعد حجاجي لبني إسرائيل في تصور ابن عاشور؛ لأنَّ استعارة لفظ العهد الذي كلفهم الله به هو التوراة المنزلة على موسى عليه

[55] ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، ج1، الدار التونسية للنشر، تونس، دط،1984م، المقدمة ص8

[56] - الشوبكي، رانية جهاد إسماعيل، الطاهر ابن عاشور وجهوده البلاغية في ضوء تفسيره التحرير والتنوير "المعاني والبديع"، الجامعة الإسلامية- كلية الآداب/ قسم اللغة العربية، غزّة، 2009م، ص17

السلام، فالتوراة عندهم هي العهد، ولهذا خاطبهم بها ليحاججهم بها[57].

ما أورده صولة في موضوع حجاج "القصر" عند ابن عاشور في تفسيره بعض آيات القصر، مثل قوله تعالى "ولئن سألتَهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولُن الله" (العنكبوت/ 10)، فهو يرى أن القصر هنا حقيقي وليس إضافيًا، يقول "القصر حقيقي إذ ليس ثمة ردّ اعتقاد لأن المشركين يعترفون بأن الله هو الخالق للأشياء التي في السماء والأرض"[58]، يفصّل عبد الله صولة تصورات ابن عاشور في القصر ويبيّن التناقض الذي وقع فيه، في تصنيف أنواع القصر في الآيات بدقّة علمية كما فعل ابن عاشور مع من سبقه.

فلا تخلو مسألة من المسائل إلا ويحضر تصور ابن عاشور في المسألة، وأحيانًا يفصّل قول ابن عاشور في الهامش، بما يثري الموضوع معرفةً، وهذا يدل على المكانة الكبيرة التي يكنها صولة لابن عاشور، والمتأمل لهذه العلاقة يدرك أن عبد الله صولة تتبع أثر ابن عاشور بلاغيًا، فهو من فتح الباب أمام صولة لأن يدرس القرآن حجاجيًا؛ إذ وقف ابن عاشور على ملامح البعد الحجاجي في بعض الآيات، وهو ما أقنع صولة بالسير وراء خطوات ملهمه.

ما ذكرناه من "تصورات" لشخصيات هيمن بشكل كبير على عمل صولة، وهي الشخصيات التي كانت مرتكزات لفتح البعد الحجاجي في القرآن بلاغيًا، أو لنقل "أطروحات" و"تصورات" يمتلك أصحابها مؤهلات علمية بحثية ونظرية إذا جاز لنا القول، شكلت منهجية التفسير للخطاب القرآني في الماضي والحاضر.

إلى جانب من سبق أخذ صولة بآراء بقية المفسرين والبلاغيين، السيوطي، والراغب الأصفهاني، والباقلاني، والقرطبي، وابن القيم الجوزية، وفخر الدين الرازي، وغيرهم، وعبد القاهر الجرجاني، وسعد الدين التفتازاني، وابن الأثير، وابن قتيبة، وأبو هلال العسكري، والسكاكي، وغيرهم، ومن المحدثين أيضًا أخذ قضايا عدة.

### 4-5-4 تصورات لغوية غربية:

قدمت اللسانيات الغربية ابتداء من سوسير إلى أيامنا هذا نظريات لغوية، تخدم الفكر اللغوي، وهي من الشمول ما يجعلها تطبّق على أية لغة في العالم، وهي فترة ثورة اللسانيات أو اللغويات في الغرب التي احتلت العالم بتصوراتها، من هؤلاء بنفنسيت، وهاريس، بلومفيلد، تشومسكي، ديكرو، أوريكيوني، وغيرهم، وقد دخلت هذه التصورات إلى اللغة العربية وأصبح الباحثون العرب يأخذون ممن سبق ذكرهم الكثير من الأفكار والرؤى والتصورات بفهم واعٍ وبإخلال أيضًا.

#### 4-5-4-1 تصورات كاثرين أوريكيوني:

أوريكيوني باحثة فرنسية لها مجموعة من الكتب ذات الصلة بالتفكير اللغوي، واللساني، وقد اشتهرت هذه الكتب وأشهرت صاحبتها، ولا يوجد كتاب لغوي في الغرب ليست أرويكيوني من مراجعه، وفي دولنا العربية أيضًا يأخذ منها إخوتنا التونسيون والجزائريون والمغاربة لصلتهم باللغة الفرنسية رغبةً منهم في تجديد الفكر اللغوي العربي، وقد كان لبعضهم ذلك بتقديم كتب ذات محتوى لساني صرف.

لدى أوريكيوني مجموعة من الكتب منها : "فعل القول من الذاتية إلى اللغة" و"المضمر"، وهما الكتابان اللذان أخذ منهما عبد الله صولة في كتابه، ففيهما من

[57] - صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن، مرجع سابق، ص228/227

[58] - ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج7، ص306

التصورات الخاصة التي ميّزت صاحبتها كثيرًا، ففي كتابها "فعل القول" ركزت على العملية التواصلية، من خلال القول أو التلفظ، باحثةً عن السَّنن أو النسق (code) الذي يقام فيه التواصل، وهو ما جعل هذا الأمر قاعدة لدى المتحاورين أو المتحاججين، لكن ميزة أوريكيوني هي أنها اهتمت بالخارج- لساني[59]، أي ربطت اللغة بالخارج، وهذا مخالف للبنيويين الذي اعتبروا "اللغة نسقًا مغلقًا"، واهتمت كثيرا بالدال المعجمي، تحولات الدلالة فيه، وكذلك كفاءة المتكلم اللغوية وقدرته على التحليل الجملي، ودور الجملة في إيصال المعنى، ثم كفاءة الخطاب وهو المجال الأوسع للتطبيق.

وقف عبد الله صولة على تصورات أرويكيوني للمعنى، فقد حددت ذلك بمعنى أصلي يكون في المستوى المعجمي، وهي الدلالة المعجمية الثابتة، ثم يأتي الانزياح (العدول) إلى معنى آخر، وتسميه الانزياح الدلالي الأولي، ويكون عندما لا يتم تأدية المعنى الحقيقي من اللفظ، فنضطر للبحث عن المعنى "النتيجة" للقول، وهذا يجعلنا نبحث عن انزياح دلالي ثانٍ، وهو إدماج فاعل القول وفي محتوى القول وهذا يخضع لعملية تأويل قائمة أثناء التحدث.

في كتابها "المضمر" عمدت أوريكيوني إلى البحث عن قواعد استخراج المضمر في الخطاب؛ إذ في كل خطاب مضمر، فقد غدت تصورات أوريكيوني عن "المضمر" مرجعًا لكل اللغويين في العالم؛ إذ ترى أن المضمر يبنى كما يبنى الشيء المتعيّن، لكن لأسباب رمزية، ولذا في أي حوار يجب البحث عن نظام التشفير اللغوي الذي يحمله المصطلح اللغوي، ففيه افتراضات ومضمّنات واستنتاجات وعلاقات أخرى، وقد يعجز الإنسان في فك المحتويات المضمرة، ولهذا تقترح أوريكيوني اللجوء إلى معلومات تساعد في فك هذا التشفير، منها:

1 السياق الخارج عن الكلام (الكفاءة الموسوعية).
2 طريقة عمل (القواعد التحادثية) أو قوانين الخطاب "الكفاءة البلاغية التداولية التواصلية".
3 بعض الآليات التي تميّز المنطق الطبيعي (الكفاءة المنطقية)[60].

أفاد عبد الله صولة من أطروحات أوريكيوني في الاستدلال والمضمر في استخراج البعد الحجاجي؛ لأنَّ المضمر متعلق أيضًا بما يتم تداوله عبر اللغة / أو الخطاب، ولا يكون إلا في الحوارية، ففي الحديث عن العدول أخذ صولة المسار التعييني في الدلالة وهو الذي ينطلق من المرجع على الدال عبر المدلول[61]؛ إذ يخرج المعنى من المحتوى الأول إلى محتوى ثانٍ غير الذي وضع له في الأصل، وقد حضرت كثيرًا في البعد المفهومي للعدول في مناقشة مصطلح المفهوم والمقتضى والدلالة، وكذلك في كل فصول "الحجاج في القرآن" بشكل ملحوظ، وقد أخذت النصيب الأكبر في الحضور عنده، لما تشكل من أهمية في تصوراتها المنطقية للغة.

### 4-5-4-2 تصورات ديكرو:

ديكرو أحد منظري نظرية الحجاج، لكن بقي أن نشير إلى أن تأثير ديكور على عبد الله صولة كان ظاهرًا، ففي كل مسألة لغوية يحضر تصوّر ديكرو مثل

[59] - ك- أوريكيوني، فعل القول من الذاتية إلى اللغة، ت/ محمد نظيف، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2007م، ص11

[60] - كثرين كيربرات، أوريكيوني، المضمر، ت/ ريتا خاطر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2008م، ص24

[61] - صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن،مرجع سابق، عن أرويكيوني ص202

الاقتضاء والتضمّن، والمفهوم، والدلالة، من ذلك الاقتضاء الناشيء عن الجملة، أو الأسلوب اللغوي القولي أو اللاقولي، فالمقتضى يقوم بوظيفة "التوجيه"، أي توجيه الحوار نحو المناطق التي يريدها المتكلم، فالاستفهام يقوم بإجبار المخاطب على الإجابة، وفق ما يوجهه البعد الاقتضائي للاستفهام[62]، ومن هذا المقتضى يحدّد صولة الوظيفة الحجاجية للاستفهام.

تأتي أهمية الجملة في البعد الحجاجي عند ديكرو وأنسكومبر من عناصرها المكونة لها، ومن قوة هذه العناصر وموقعها في الجملة، وهو تصوّر أخذ به صولة في أهمية المعجم حجاجيًا، وغيرها من القضايا اللغوية المتعلقة بالحجاج.

وقف صولة أيضًا على تصورات علماء اللغة في الغرب مثل بول ريكور، وجان كوهين، وهلمسلف، مارتن، دانيال جريميت، وغيرهم، فقد كانت جهودهم ملموسة في تطوير الفكر اللغوي في الغرب، وانعكست على الجهود البحثية بشكل عام.

5- التأسيس لبلاغة عربية جديدة:

وقفت البلاغة العربية قديمًا عند مستوى الأقسام الثلاثة البيان والمعاني والبديع، وهو متخيّل التصوير والتحسين في الكلام العربي، وقد حاول بعضهم إدخال أنماط جديدة، كعلم الاستدلال في البلاغة كما فعل السكاكي، والتأثير والإقناع في الخطابة أو النثر كما فعل حازم القرطاجني، وحدث اتساع في علم البديع بتوسيع دائرة البحث فيه، فأورده ابن أبي الإصبع(ت 654) مائة لون، وعند صفي الدين الحلّي (ت 750) وصل إلى مائة وأربعين لونًا، وقد وصلت البلاغة العربية القديمة للجمود، لأسباب ليس هنا مجال ذكرها، وبقيت علوم البلاغة القديمة تطبّق على نصوص خالية من الإبداع والابتكار، بل اجترار لما هو قديم.

ظهر الاهتمام بالبلاغة بعد انفتاح الخطاب البلاغي العربي على خطابات البلاغة الغربية، بعد نقل تجربة اللسانيات الغربية في فكر اللغة العربية، وقد تم الإفادة من هذا التخصص لتحديث التفكير في الفكر اللغوي العربي، وقد كان يعاب على البلاغة القديمة أنها انحصرت في النص، ولم تُعِر المتكلمَ والمتلقيَ أي اهتمام، وأن انسجام الخطاب (نظرية النظم) قد أخذ النصيب الأكبر من التفكير في البلاغة، وتم تناسي المقام والسياق والتداول تمامًا.

في الغرب ورثت البلاغة الجديدة (بيرلمان ومايير) البلاغة القديمة، بلاغة أرسطو، فقد جمعت بلاغة أرسطو بين "الشعرية" والجدل، الذي يهدف إلى الإقناع، في المقابل توجد بلاغة أخرى حديثة أرساها جان كوهين، وريفاتير، وهي بلاغة الأسلوبية، فحدث تقاطع بين البلاغتين، بلاغة الحجاج وبلاغة الأسلوب، إلى أن أتى أوليفيه روبول، فقد حاول أن يوجد صيغة موحدة بين البلاغتين بدمج البلاغتين معًا؛ إذ يقول:

"سنتبنّى نحن حلًا ثالثًا؛ لن نبحث عن جوهر البلاغة لا في الأسلوب ولا في الحجاج، بل في المنطقة التي يتقاطعان فيها بالتحديد. بعبارة أخرى، ينتمي إلى البلاغة بالنسبة إلينا كل خطاب يجمع بين الحجاج والأسلوب"[63] ، فقد كان روبول هو السبّاق إلى دمج البلاغتين في بلاغة واحدة، وهي "البلاغة العامة".

فقد كان "روبول" هو الموجِّه الفعلي لعبد الله صولة، للجمع بين بلاغة الحجاج، نظريات الحجاج المختلفة

[62] - صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن، مرجع سابق، ص427

[63] - سهام، رخيس ومباركة، مهدي، في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية الخاطبة في القرن الأول الهجري نموذجًا، مذكرة ماجستير، جامعة ابن خلدون- تيارت، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، الجزائر، 2018/ 2019م، عن روبول، ص21

الاتجاهات، وبلاغة الأسلوب، فهو لم يترك مجالًا كبيرًا للتنظير، أو الرصد التاريخي للتحولات البلاغية في الغرب والعالم العربي، وإنما ركز على الأفكار المهمة التي سوف يشتغل بها في بحثه، في نظرية الحجاج اختصر أفكار بيرلمان ومايير، وتولمين، وديكرو، في بلاغة الأسلوب ركز كثيرًا على اللغة، وبلاغة الكلمة والصورة، ونظريات تحليل الخطاب، بما فيها من بعد حجاجي، ومن خلال هذا الطرح والتطبيق قدّم نمطًا جديدًا في الاشتغال البلاغي العربي الحديث.

يرى عماد عبد اللطيف أن تجديد البلاغة العربية بدأ من منتصف القرن العشرين، بالثورة على تلخيص المفتاح للقزويني، وعلى شروح السكاكي؛ إذ كانت البلاغة المعتمدة في تعليم "الأزهر الشريف"، هي بلاغة السكاكي، ثم ظهرت بعض الكتب مثل نظرية النقد لمحمد كامل الخطيب 1940م، ومحاضرة علوم البلاغة لعبدالكريم محمد حسين، ثم البلاغة العصرية لأحمد حسن الزيات 1945م، وكذلك محاضرة الإمام محمد عبده في تونس1903م عن العلم الإسلامي والتعليم قدّم فيها تعريفًا جديدًا لعلم البلاغة[64]، ثم الاهتمام بأعمال طه حسين، وأمين الخولي، وأحمد الشايب، وغيرهم من الزاوية البلاغية .

شهدت البلاغة العربية تجديدًا كما يرى عبد اللطيف على يد الإمام محمد عبده عن طريق:

- الجرأة في مواجهة تقاليد تدريس البلاغة العربية في واحد من أكبر المؤسسات التعليمية محافظةً، وهو الأزهر الشريف.
- تقدير النصوص الأساسية البلاغية، والتخلص من تدريس الشروح والحواشي والتلخيصات والألفيات.
- أعطى البلاغة تعريفًا جديدًا "صفة في الكلام، تُبلِغ المتكلم مراده من نفس السامع، على قدر طاقته، ثم إنها تكون بمراعاة حال المخاطَب[65].
- أعاد الاهتمام بدراسة "نظم الكلام" وهي رؤية عبدالقاهر الجرجاني للواجهة، ورأى أن دراسة حال المخاطَب تتطلب معرفة طبائع الأشخاص، ومداخل المعاني في قلوبهم.

يبدو أن كل الملاحظات التي قدمت في تجديد البلاغة "جزئية" في أغلبها، ولم يكن هناك من يتبنى منهجًا متكاملًا، أو نظرية ملموسة لقلب البلاغة العربية رأسًا على عقب، وتغيير أو تبديل الكثير من المصطلحات، بإحداث "عمليات جراحية" للبلاغة تغيّر التصور البلاغي بشكل عام، خصوصًا تعليمية البلاغة العربية، ثم أتى من يعلن بشكل رسمي تبنّي عنوان "البلاغة العربية الجديدة، مثل محمد العمري، في كتابه "البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول"2005م، مسعود بدوخة في كتابه "البلاغة العربية بين الإمتاع والإقناع" 2018م، وعماد عبد اللطيف في كتابه "البلاغة العربية الجديدة" 2021م، وغيرها، وقد ظهرت هذه الكتب بعد ظهور كتاب عبد الله صولة "الحجاج في القرآن" 2001م، وقد كان له السبق في تقديم تطبيق جديد للبلاغة جمعت بين بلاغة الحجاج وبلاغة الأسلوب، في رؤية بلاغية موحدة، لم يسبق أن دُرِست بهذا الشكل.

64 ـ عبد اللطيف، عماد، البلاغة العربية الجديدة: مسارات ومقاربات، دار كنوز المعرفة، عمّان، ط2، 2021م، ص126/124

65 ـ عبد اللطيف، عماد، البلاغة العربية الجديدة: مسارات ومقاربات، مرجع سابق، ص129

لم يقل عبد الله صولة إنّي أؤسس تيارًا جديدًا في البلاغة العربية، أو أؤسس بلاغة جديدة، وترك الأمر للبلاغيين الذي سيقرؤون كتابه من بعد، فهم سيضعونه في المكان الذي هو له، رغم وجود نماذج سابقة عليه في دراسة الإقناع والحجاج مثل فن الإقناع لمحمد العمري، بلاغة الخطاب وبلاغة النص لصلاح فضل، لكنها قدمت الحجاج منفصلًا عن المنحى الأسلوبي.

أسس عبد الله صولة تيارًا بحثيًا لدراسة البلاغة العربية بصيغتها الجديدة، بالعودة إلى الأصول البلاغية، بصمت، بالتركيز على المحاور الآتية:

1- تطبيق المبدأ البراجماتي "مبدأ الأنفع أو الأجدى" في البلاغة العربية، وهكذا منحى جديد في البلاغة، وكذلك تطبيق تقنيات الحجاج الثلاثة "الإيتوس والباتوس واللوجوس" على البلاغة العربية، من أجل إنشاء بلاغة تعليمية تواصلية تأخذ المقولات التداولية: "من المخاطِب؟ ومن المخاطَب؟ وفيمَ؟ ولماذا خصوصًا؟" وهي جوهر البلاغة الجديدة التي يريدها ويعلن عنها بعد تطبيقها على علوم البلاغة الثلاثة البيان والمعاني والبديع، وقد طبق هذا النموذج بطريقة مغايرة لم ترها البلاغة العربية من قبل.

2- الخروج من بلاغة مقتضى الحال والنظم الجمالي للقرآن كما كانت البلاغة القديمة تركز عليه، إلى بلاغة الإقناع والتأثير، من الناحية البلاغية، وليس من الناحية الجدلية، أو العقلية الصرفة، وقد ظهر ذلك في كتابه الحجاج في القرآن.

3- المزاوجة المغايرة بين الأسلوب والحجاج في مباحث متعددة، بيّنَ فيها القدرة العجيبة على الأسلوب في التكيف من أي أطروحات بلاغية، مهما كانت، وفي أية ثقافة كانت.

4- التركيز على البعد الحجاجي للكلمة، ودروها في الجملة، ثم للتركيب كما هو في العدول، ثم للصورة وما تتركه من أثر، ثم للخطاب، كل ذلك من الزاوية البلاغية.

إذ لم يكن أحد يتطرق لهذه القضايا في البلاغة العربية، وما كان موجودًا هو دراسة الأسلوب من الناحية الجمالية فقط، وما عمله صولة أنه شجع الآخرين على الكاتبة في البلاغة العربية "الجديدة"، وقد تم ذلك كما مرّ بنا.

**ثانيًا: البعد المنهجي عند عبد الله صولة:**

**1- ما المنهج؟**

المنهج العلمي هو ما يجعل من التفكير المعرفي قاعدة لحل المشاكل والمعضلات المتعلقة بالعلم، أو هو طريقة العالم في تفسير الظواهر الماثلة أمامه، والعمل على تفكيكها بشكل منطقي، والمنهج هو الأداة التي توصل الباحث إلى الحقيقة المرجوة، أو الهدف المقصود بالبحث، ولذا جاء الحديث في النخب الأكاديمية عما هو منهجي، وما هو غير منهجي.

المنهج بشكل عام، "مجرد فكرة تتم صياغتها في جملة من القواعد العامة التي يتوجب تطبيقها من قبل ممارسي النشاط المعني"[66] ، والبحث العملي هو فكرة التحقق العيني الملموس والممارسة العملية لفكرة المنهج، والمهم في الأمر هو الوصول إلى غايات العلم بالمنهج العلمي عن طريق البحث.

يكمن البعد المنهجي في فكر عبد الله صولة النظري من خلال فكرتين:

[66] - الحصادي، نجيب، نهج المنهج، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ليبيا، دط، دت، ص149

الأولى: في كتابه "الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية"؛ إذ تكمن الفكرة في العنوان المقدم،موضوعًا للبحث، والتقصي والتحري، فالمشكلة البحثية هي أين يوجد الحجاج في القرآن؟، وما هي أشكال الحجاج؟، وكيف يمكن التحقق منه؟

فالحديث عن "الحجاج" بحثيًا هنا يلزمنا تعيين حدود البحث العلمي، التي رسمها لنفسه صولة، وقد حصر الموضوع في القرآن الكريم فقط، رغم ورود أساليب متعددة للإقناع في القرآن، فالجدل والمناقشة، والحوار موضوعات وردت كثيرًا في الأبحاث العلمية، فقد أقصى صولة كل هذه الموضوعات المجاورة للحجاج وركز على "الحجاج" ومساحته، في الموضوعات التي حضرت في المستوى اللغوي فقط، فقد وُجدت صيغ متعددة لأشكال الحجاج في القرآني، منها على سبيل المثال "الحجاج العقلاني" كما يسميه بعض الباحثين، و"الحجاج السردي" من خلال الحكاية والقصة في القرآن، أو الحجاج الحواري الذي يكمن في بنية الحوار مثل حوار سيدنا موسى لفرعون، وغيرها من أشكال الحجاج.

الثانية: في كتابه "في نظرية الحجاج- دراسات وتطبيقات"، في الفصل الثاني من الكتاب قدّم صولة مبحثًا عن البلاغة العربية في ضوء نظرية البلاغة الجديدة أو الحجاج، ففي هذا البحث قدم رؤية بحثية لإخراج البلاغة العربية إخراجًا جديدًا يتناسب مع نظريات الحجاج الغربية، مع مراعاة الجهود العربية، وذلك باستخدام قانون "الأنفع والأجدى" وفق "التداولية"، من أجل إنشاء بلاغة عربية تواصلية، تقوم على أساس تعليمي، ومن أجل إعادة التفكير في البحث البلاغي، معتمدًا في ذلك قانون الفصل والوصل في بلاغة الحجاج عند بيرلمان.

1-1- الشروط الموضوعية للبحث:

1-1-1- عنصر الاجتهاد:

قرأ صولة جهود القدماء في تعريف الحجاج، ورأى أن هذا المفهوم بالنسبة للدراسات المعاصرة يختلف عما هو في الماضي، يقول "الدافع إلى ذلك جدّة مفهوم "الحجاج" في الدراسات العربية الحديثة على وجه الخصوص، رغم أن المصطلح قديم"[67]، فيتحقق عنصر الاجتهاد في زاويتين:

- الوقوف على مصطلح الحجاج عند المفسرين القدماء، والبلاغيين، والتفريق الدلالي بينه وبقية المصطلحات.
- تطبيق نماذج استخراج الحجاج وفقًا لنظريات الحجاج الغربية، وهي رؤى في كتب متفرقة للحجاج.

فكان على صولة أن يستوعب نظرية الحجاج عند بيرلمان وتيتيكاه، ثم عند تولمين، ثم مايير، وديكرو، ولم يكن الأمر بالصورة السهلة، خصوصًا في التطبيق؛ لأنَّ فهم النظرية قد يكون فيه صعوبة، إما تطبيق النظرية فهذا يحتاج إلى جهد ذهني عالٍ، وشخصية بحثية قادرة على تحمّل المشاق البحثية، وقد لمسنا هذا من موضوع الدراسة؛ إذ لم يكن بالأمر السهل تجميع نظريات الحجاج في بحث واحد، فقد قام بعض الدارسين بتطبيق جزئيات من نظريات الحجاج على أجزاء محددة من القرآن، لكن تطبيق نظرية على الخطاب القرآني كله، أو التطبيق على نماذج للخطاب القرآني على العموم، فهذا –أيضًا– يحتاج شخصية قادرة على الاجتهاد والإبداع والابتكار

[67] - صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن، مرجع سابق، ص7

العلمي، شخصية لا تستسلم لما هو موجود من أبحاث وكتب تناقش موضوع البحث.

1-1-2- الفهم الدقيق للنصوص:

يكون الفهم الدقيق للنصوص من خلال تتبع معنى الآية القرآنية المقصودة بالبحث، وتتبع نصوص المفسرين وكل من قدم رؤية في هذه الآية، والدقة هنا معناها ضبط المعنى ضبطًا دقيقًا مقارنة بالحقل الدلالي لهذا المصطلح، أو ذلك، وهذه لن تكون إلا من باحث حصيف، شديد الملاحظة، خصوصًا كون مجال التطبيق نصوص القرآن الكريم، والفهم الدقيق هو عمود المنهج العلمي؛ إذ لا يظهر استيعاب المنهج إلا بالفهم الدقيق لما يقدّم من نصوص وخطابات يتم الاشتغال عليها.

لنقف على فهم حركة الكلمة في القرآن ناظرين فهم ما يتعلق بها من نصوص، وهذه الكلمة هي "الرحمن" أو مصطلح "الرحمن"، كما وردت في الخطاب القرآني، فقد جمع الآيات التي وردت فيها كلمة الرحمن ثم وزعها حسب رغبته في بيان الكلمة بما جاورها من ألفاظ، هذه الآيات هي:

1- "يا أبتِ إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليًا" (مريم /45).

2- "أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن" (الملك /19).

3- "وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن" (الفرقان /60).

4- "قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن" (الإسراء /110).

5- "وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا. لقد جئتم شيئًا إدًّا. تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًّا. أن دعوا للرحمن ولدًا. وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدًا. إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدًا...إلخ" (مريم /88-96).

ففي سورة مريم أورد صولة تفسير ابن عاشور والزركشي ولتقاربهما، في تفسير إتيان كلمة الرحمن عن غيرها من أسماء الله تعالى؛ لأنَّ المقام عطف من الابن على أبيه فأتي الخطاب بالرحمن وليس بالجبار أو المنتقم مثلًا، ثم أتى بتفسير آية سورة الملك وهو تفسير "ابن الزبير" مقارنا بينها وبين الآية "ما يمسكهن إلا الله" (النحل /79)، على أن حالة الطير بسط جناحيه وقبضهما وهما مما يستريح لهما الطير، هذه الاستراحة أتت بلفظ "الرحمن"، وتلك أتت بلفظ الله لتدل على عظمة الله وقدرته.

يفهم صولة نصوص التفسير الثلاثة فهمًا دقيقًا، مستخدمًا المقارنة بينها، ثم يلخص إلى الرأي بأن الثلاثة حصروا البحث في السياق اللغوي فقط، ويوجد مع ذلك في كلامهم تدبّر بعد حجاجي، لكنهم غضوا الطرف عن دلالته التداولية والاستعمال زمن نزول القرآن وقبله[68].

يحصي صولة كلمة "الله" في القرآن المكي ويرى أنها وردت 53 مرةً، ووردت 4 مرات في القرآن المدني، فكلمة "الرحمن" هنا فيها بعد تداولي استعمالي في تلك المرحلة، ولها سياقات عديدة منها:

- ارتباط الآخرة بسياقات الآخرة والمعاد.
- ارتباطها بكلمة الغيب في سياق واحد.
- ارتباطها بسياق الحديث عن أعلام من الديانات التوحيدية الأخرى.
- ارتباطها بالحديث عن مبدأ التوحيد، وهو الأكير تواترًا[69].

[68] - صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن، مرجع سابق، ص211- 213

[69] - صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن، مرجع سابق، ص218- 219

من تتبّع الفهم الدقيق للنصوص يرى أن لفظ "الرحمن" له بعده الحجاجي المرتبط بالعقيدة في المرحلة المكية، وأن لفظ "الله" له بعد حجاجي يلزم العرب المشركين فقط باعتناق الدين الجديد وأطروحاته الجديدة، فكلاهما له بعد حجاجي مختلف عن الآخر، وقد تم العدول من لفظ الله على لفظ الرحمن كثيرًا في القرآن المكي كما ذكرنا، ثم حجاجية اللفظ في البسملة "بسم الله الرحمن الرحيم."

ثم يأتي الإشباع البحثي للكلمة، وذلك بالبحث عن كلمة "الرحمن" في الخط "المسند" وهو خط "حِمْيَر" اللغة اليمنية القديمة، بأن الكلمة وردت في الديانات السماوية السابقة اليهودية والنصرانية، وكانت هذه الكلمة شائعة في جزيرة العرب، بأن "رحمنون" نعت من نعوت الله عند بني إسرائيل / والنصارى.

مما سبق يتبين النفَس الطويل الذي يمتلكه صولة في البحث والتنقيب والفهم، لكل ما يقابله في بحثه، وهو لا يمر على الأفكار والمعاني مرور الكرام، بل يتأملها ويناقشها، ثم يعطي رأيه فيما فهم بالقبول أو الرد، وعلى أية أساس بنى رده للمسألة.

2- المنهج المعاصر في القراءات التراثية:

عرفنا أن المنهج هو الطريقة للوصول إلى الغايات أو الحقائق، وكونه معاصرًا أي مازلنا نعيش معه وبه، نفكر به في حال مناقشة أية قضايا تخصنا، وقد اختلفت المناهج باختلاف التخصصات وأصحابها، وقد سلك القدماء المناهج التي تعبر عن طريقة تفكيرهم في تلك الأزمنة، واتخذ المعاصرون مناهج وليدة تفكيرهم، وحاجتهم لحل مشاكلهم، لكن هناك قضية ملموسة في فكرنا العربي، وهي التعامل مع التراث، ما المنهج المناسب لقراءة التراث؟ سؤال يخوض فيه الكثير من الباحثين، ولم يحسم الموضوع بعد.

2-1- التواصل مع التراث:

عرف هابرماس التواصل بقوله: "التفاعل المصاغ بواسطة الرموز وهو يخضع، ضرورةً، للمعايير الجاري العمل بها التي تحدد انتظارات مختلف أنماط السلوك المتبادلة، على أساس أن تكون مفهومة ومعترفًا بها، بالضرورة، من طرف ذاتين فاعلتين على الأقل"[70] ، قصدتُ هذا التعريف لما له من إشارة لما يحدث في الفكر القرائي العربي من صراع حول القديم، من إعلان القطيعة معه، أو نقل القديم كما هو، أو التعامل مع القديم منهج العصر الحديث، أي الصراع بين (السلفية)، و(الحداثية)، وما(بين بين).

فالتفاعل يجب أن يكون بين ذاتين أو أكثر، مع وجود أفق لتلقي مكونات التواصل، أو الأداة التي سيتم عبرها التواصل، وهو جهاز يتم عبره نقل المعلومة من الأنا إلى الآخرين، ثم يكون هناك انتظار رد الطرف الآخر لمعرفة مدى استجابته لعملية التواصل، فطرفا التواصل هنا الذات المعرفية القديمة، والذات المعرفية الحديثة، وكل ذات لها مرجعيتها المستقلة، فيقف المفسرون البلاغيون القدماء في طرف الذات المعرفية القديمة، ويقف عبد الله صولة في طرف الذات المعرفية الحديثة، لنعرف طبيعة هذا التواصل.

فالتراث الذي نعلنه هنا، هو" الموروث الثقافي والفكري والديني والأدبي والفني، وهو المضمون الذي تحمله هذه الكلمة داخل خطابنا العربي المعاصر ملفوفًا في بطانة وجدانية أيديولوجية"[71]، فمن الموروث الديني

[70] - أفاية، محمد نور الدين، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة نموذج هابرماس، دار إفريقيا الشرق، بيروت- الدار البيضاء،ط2، 1998م، ص182

[71] - الجابري، محمد عابد، التراث والحداثة دراسات...ومناقشات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1991م، ص23

النص التفسيري للقرآن، أو الموروث الثقافي المتمثل في الكتب البلاغية التي تناقش المعنى، وقد استغل بهذا التراث الكثير من الباحثين تنقيبًا وتحقيقًا ودراسةً، لكن ما يثير الموضوع هو التوجهات الأيديولوجية (القراءات الأيديولوجية) لهذا التراث؛ إذ تسير بالفكر نحو الزوايا السياسية التي تريدها، وهذه قراءة جزئية مبتسرة للتراث، تنقل الفكر من الاتساع إلى الضيق العقلي، كما هي القراءات السلفية، أو القراءات اليسارية الجدلية أو القراءة الاستشراقية التي يسميها محمد عابد الجابري[72].

لكن عبد الله صولة يقف في منطقة "التواصلية" بين القديم والجديد، أي "القراءة التوافقية"؛ إذ يوافق بين فكرتين

؛ الأولى: التفسير البلاغي القديم (الزركشي، والزمخشري، والباقلاني، وابن قتية وغيرهم) والثانية: الإنجاز اللغوي الغربي المعاصر(سيرل، أوستين، أوريكيوني، ريكور، ديكرو، كوهين، وغيرهم)، مع الاحتفاظ بأصالة البحث عند العرب، والاعتراف للقدماء بالفضل الكبير في البحث عن المعاني، وتنقيح أطروحات القدماء بآراء علماء الغرب المعاصرين، أي يعمل على التوفيق بين ما طرحه العرب بلاغيًا وما طرحه الغرب، مثال ذلك:

أورد صولة في بنية الصورة أن الصورة عند الأوائل قائمة على الاستبدال سواء كان المنشأ للصورة الاستعارة بما فيها من استبدال وخلفية، أو كان منشؤها التشبيه أو التمثيل أو الكناية أو المجاز[73] ، فهو يصل لهذا النتيجة بعد عرض ومناقشة آراء الزمخشري وابن رشيق وابن أبي الإصبع، والجرجاني وابن الأثير، في حين يختلف الأمر عند علماء البلاغة في الغرب يرى جان كوهين وريكور أن الاستعارة قائمة على مبدأ الاستبدال، ويرى ريتشاردز أن الاستعارة قائمة على مبدأ التفاعل بين عنصرين، وهذا مخالف لمن سبقاه، ولا يمكن التوفيق بين آراء الغربيين.

مبدأ الاستبدال هنا تحول إلى عنصر وصل في ذهن عبد الله صولة، ليربط التفكيرين العربي والغربي في زاوية الفكر الاستبدالي، كنسق معرفي في العقل البلاغي، بشكل عام.

من زاوية أخرى وفّق بين ما جاء به الأوائل بلاغيًا وما جاء به المعاصرون، ما جاء به السكاكي والزمخشري وابن قدامة والجرجاني في تركيب الجملة العربية، وما جاء به الهادي الطرابلسي ومصطفى ناصف في "الأسلوب" وكل هذا توفيق بين القديم والجديد في الفكر البلاغي العربي.

نستطيع القول إن عبد الله صولة شخصية توفيقية، تعمل على فهم التراث، وتقديمه بصورة كاملة، بما فيه من جماليات، بل يعمد إلى أخذ ما يبهر الذين لا يهتمون لأمور التراث، فهو يحتفي به، ويناقشه، ويأخذ منه، ويرد، ويعقب على الكثير من الآراء، فهو لا يدّعي "القداسة" للأوائل، بل يراهم بشرًا يخطئون ويصيبون، وخطؤهم مرجعه إلى العقلية العلمية في تلك الحقبة، وعلى نقصان الذات البشرية، لكنه يناقشهم باحترام وإجلال، ويرى أنهم قدموا للحضارة العربية الإسلامية درزًا لامعةً.

2-2- داعي المنهجية:

للنظر في المنهجية المتبعة في تحليل النصوص عند عبد الله صولة يجب الوقوف على "المنهج الأسلوبي" أو منهج "الأسلوبية"؛ إذ المنهج عنده هي الآليات

[72] - الجابري، محمد عابد، التراث والحداثة، مرجع سابق، ص26- 29

[73] - صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن، مرجع سابق، ص482- 488

والإجراءات المتبعة التي وصل بها إلى الأبعاد الحجاجية، أو النتائج التداولية؛ إذ لم يستطيع صولة تطبيق النظريات الحجاجية بأبعادها إلا بالعبور على "اللغة" ولن يتم ذلك إلا بالمنهج الأسلوبي.

مرّ مصطلح "الأسلوب" بتعريفات كثيرة، كل تعريف له مرجعيته الخاصة، في التعامل مع اللغة، ابتداء من بيفون الذي عرّف الأسلوب، "الأسلوب هو الرجل/ أو الشخص"، وعلم الأسلوب stylistics هو الطريقة في الكلام [74]، ويورد روبرت باول لكلمة أسلوبية مفهومان مختلفان : 1- دراسة الصلة بين الشكل والفكرة، خاصة في ميدان الخطابة عند القدماء. 2- الطريقة الفردية في الأسلوب، أو دراسة النقد الأسلوبي، وهي تتمثل في بحث الصلات التي تربط بين التعبيرات الفردية أو الجماعية[75] ، فهذا يعني التحولات التي لحقت مصطلح الأسلوب والأسلوبية، في كل الأحوال هناك تتبع منهجي للأسلوب عبر التحليل الأسلوبي، فأصبحت الأسلوبية أسلوبيات، الأسلوبية الإحصائية، والأسلوبية البنيوية، والأسلوبية الشعرية، والأسلوبية السيميائية، وغيرها.

شاع بين الأسلوبين تحليل المستويات الصوتي، والمعجمي، والتركيبي، والدلالي، لكن اختلفت زوايا النظر في التطبيق فكل ناقد استخدم أسلوبية بطريقة تختلف عن غيره، وكل أسلوبي له طريقته المنهجية في النظر إلى الأسلوب، وهذا جعل حقل الأسلوبيات متسعًا جدًا لجميع التطبيقات، وهو ما جعلها تختلط بالبلاغة من جهة، فهل البلاغة تابعة للأسلوبية أو الأسلوبية حقل من حقول البلاغة؟ موضوع ليس مجالنا في البحث.

أعلن عبد الله في اشتغاله البحثي أن يتخذ المنهج الأسلوبي /"الأسلوبية" منهج دراسته في نظرية الحجاج، فظهر الأسلوب عند صولة تارةً منهجًا نقديًا، يصل به إلى الأبعاد والمقاصد الحجاجية الظاهرة والمضمرة، وتارةً أخرى موضوعًا يطبّق فيه تقنيات حجاجية، ويبحث عن تشكله في الخطابات والنصوص، ففي كتاب الحجاج في القرآن، ظهرت الأسلوبية منهجًا يستكشف به الحجاج في القرآن، وفي كتابه "في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات" ظهر الأسلوب موضوعًا للدراسة، كما في مبحث: "الأسلوب حدث نوعيٌّ كميٌّ ... بحث في الأسلوب والحجاج"، ومبحث: الحجاج والتفاعل من خلال أسلوب التشبيه في "إبراهيم الكاتب" للمازني، يتحول الأسلوب هنا إلى موضوع للبحث، لا ينفك عن الحجاج.

أين يقف عبد الله صولة في النقد البلاغي، أم في النقد الأسلوبي؟

هناك علاقة للبلاغة القديمة العربية بدراسة الظواهر اللغوية في الخطاب الشعري وفي القرآن، إلى العصر الحديث، فمازالت مواضيع البلاغة لا تخرج عما جاء في كتب البلاغيين القدماء من موضوعات، أما البلاغة في الغرب فلها اتجاهان، اتجاه نحو الشعرية، واتجاه آخر نحو الخطابة، وكلها مرتبطة بالتأثير، و البلاغة المعاصرة أيضًا تقف على إنجاز البلاغة القديمة، كما حدد ذلك روبول: بلاغة تسير نحو الحجاج بيرلمان في مصنف في الحجاج، وبلاغة تسير نحو الأسلوب جان كوهين في بنية اللغة الشعرية[76] ، وفي كل الأحوال "البلاغة" تضم تحت جناحيها الحجاج والأسلوب، كلًا على حدة.

[74] - عبد المطلب، محمد، البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، دار نوابار للطباعة، القاهرة، ط1، 1994م، ص185

[75] - عبد المطلب، محمد، البلاغة والأسلوبية، مرجع سابق، ص186/185

[76] - صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن، مرجع سابق، ص56

من كلام صولة في مقدمة كتابه نعرف المسافة التي يقف عليها من التخصصين، هل هو ناقد أسلوبي أو هو ناقد بلاغي؟ يقول"إننا بدراسة اللغة القرآنية نكون من ناحية أولى في صميم تداولية الخطاب أي بتقسيم مصطفى ناصف السابق لمجالات البلاغة عند العرب في مجال بلاغة التأثير التي وقفوها على دراسة الشعر كما يقول ونكون من ناحية ثانية خارج مجال "بلاغة النظم" التي جعلوها لدرس القرآن كما أشار إلى ذلك ناصف أيضًا"[77] .

مما سبق يظهر لنا أن عبد الله صولة يدرس الأسلوب في اللغة القرآنية حجاجيًا، مخالفًا من سبقوه من البلاغيين الذين ركزوا على بلاغة النظم، وهي مظاهر انسجام الخطاب القرآني، لكن هذه الدراسات في نظر صولة ليست ذات فائدة تذكر للمتلقي، خصوصًا "المتلقي الكوني" كما عند بيرلمان، ومن أجل تحقيق "الإفادة" يجب تطبيق نظرية تحليل الخطاب لتحقيق "تداولية الخطاب"، وهذه زاوية بلاغية صرف، فهو أقصى "بلاغة النظم" ليحقق ببلاغة الأسلوب المستوى التداولي للخطاب القرآني.

لكن البلاغة التي يعلنها هنا ليست بلاغة "الفهم والإفهام" التي ورثناها عن الجاحظ والجرجاني، إنها بلاغة جديدة سمّاها مصطفى ناصف كما ورد سابقًا، بلاغة التأثير، وهذه البلاغة هي صلب/ أو عمود البلاغة التي أتى بها بيرلمان ومايير، فهو يسير نحو المسارات التي سار فيها بلاغيو الغرب الحديث.

لكنه الناقد البلاغي الذي سار بالبلاغة نحو الاتجاهات الحجاجية، وأبعادها الحوارية، ومقاصدها الإقناعية التأثيرية، وهو بهذا يكون من أوائل من يؤسس للبلاغة العربية الحديثة، البلاغة التأثيرية، بما تحمله من طابع جمالي من ناحية، وعقلي من ناحية أخرى، الجمالي يكون في فن تحليل الأسلوب، والعقلي في النظر إلى ما تنتجه اللغة من نتائج إقناعية تأثيرية.

3- خيارات المنهج الأسلوبي:

عرف صولة المنهج الأسلوبي من محمد الهادي الطرابلسي، وعبد السلام المسدي، اللذين طبقا الأسلوبية في دراساتهما الأدبية، وهما ناقدان أسلوبيان مشهوران، ولهما العديد من الكتب في هذا التخصص، لكنه أراد أن يتميّز عنهما بالميزة البحثية، فقد اطلع على العديد من مؤلفات الأسلوبية بالغرب، وعمل على استيعابها بشكل جيد.

قدم صولة بحثًا في الأسلوبية[78] ، لكنه لم يختر عموم المنهج الأسلوبي، بل اختار موضوعًا شائكًا لعلماء الأسلوب الغربيين والعرب، "العدول" أو "الانزياح" كما يسميه البعض، وقد رصد أقوال الأسلوبيين، وناقشها مناقشة مستفيضة، فقد حدد المنهج الأسلوبي في ممارسة الظاهرة اللغوية في اتجاهين: اتجاه كروتشه الجمالي، و اتجاه آخر من لسانيات سوسير، و الاتجاه الأول: إنساني تكويني يبحث في علاقة الظاهرة اللغوية بمقاصد الفرد النفسية، انطلاقًا من مقولة "بيفون" "الأسلوب هو الرجل" بتحولاته التاريخية والحضارية ويرأس هذا التيار ليوسبيتزر. واتجاه آخر تعبيري، يهتم بطاقات اللغة التعبيرية الكامنة وراء الظاهرة العاطفية لمستعملي لغة ما.

يرى صولة أن كلا الاتجاهين يجعل "العدول" هو عصب المنهج الأسلوبي، أو العمود الفقري للأسلوبية، ولذا فقد أورد تعريفات العدول كما يلي:

[77] - صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن، مرجع سابق، ص59

[78] - نشر البحث في مجلة دراسات لسانية سيميائية أدبية عدد1، فاس، 1987م.

سبيتزر: يبنى العدول المحصور في "جزئية" أو عبارة قصيرة على المقابلة بين ما هو موسوم وما هو غير موسوم من الاستعمال العادي المألوف والمتداول، ضمن سياق التحول التاريخي والحضاري في جدلية العقل واللغة.

بالي: حصر الأسلوب في المنهج الآني على أساس المقابلة بين اللغة والعبارة، والأسلوبية دراسة ظواهر تعبير الكلام وفعل ظواهر الكلام على الحساسية، والعدول هو الاستعمال العقلي الذي توفره اللغة إلى الاستعمال العاطفي الذي توفره العبارة، إي أنه يقع على محور "الاختيار"، أي العلاقات الاستبدالية، وهو حجز الزاوية في الدراسات الأسلوبية البنيوية.

ريفاتير: رأى البنيويون أن قاعدة العدول على محور الاختيار فيها الكثير من المشاكل والأخطاء، بسبب انغلاق النص، كون العدول انبنى على منهج متناقض، وهو اللجوء إلى خارج النص، ريفاتير غير محور الاختيار إلى محور "التوزيع"، كي يكون عدول الأسلوب في صلب النص نفسه، لا في خارجه.

جاكبسون: وهو من تيار "الشعرية" بحث عن اللغة الشعرية في العدول الأسلوبي، ورأى أنها "إسقاط مبدأ تكافؤ محور الاختيار على محور التوزيع"، وهو اهتمام من الناحية الشكلية للكلام "الشعرية".

جان كوهين: يرى صولة أن كوهين طابق بالي في التعريف فالأسلوب " كل ما ليس بمألوف ولا عادي مطابق للنموذج المعتاد" فالعدول ما يجعل من الشعر شعرًا مقارنة باللغة العادية أو اللغة اليومية، فيكون النثر هو الدرجة صفر من الأسلوب[79] .

حدد صولة المستوى الصوتي بدراسة النغم، على أن الشعر له توزيع صوتي مغاير للنثر، وكذلك الجمل وترقيمها، ويكون بدراسة الصوت والمعنى، متطلبات الصوت ومقتضيات المعنى، ثم الوزن والإيقاع، وهو يدرس طبيعة التفعيلات والمقاطع، والتجانس والتناسب الإيقاعي كما هو عند النقاد العرب الأوائل كما هو قدامة والمرزباني، وعدول الإيقاع وعلل التفعيلات، ثم القافية وعدول القافية.

المستوى التركيبي: وهو المستوى الأهم الذي يظهر فيه "العدول" صوتيًا ودلاليًا، وقد تحدث عن ظاهرة التقديم والتأخير، في الإعجاز القرآني، وفي الإبداع الشعري، عند كلٍ من عبد القاهر الجرجاني وابن رشيق القيرواني، والمعاني الناتجة عن ذلك، ثم ما عُدّ عدولًا في المعنى، بأن الشعر في الأساس "خرق لقوانين الكلام"، وقواعد النحو، ولذا حضر بشدة خرق قواعد التركيب في هذا المستوى.

المستوى الدلالي: يركز صولة هنا على مقولة كوهين للدلالة؛ كما يقسمها كوهين: الدلالة التصريحية والدلالة الحافة، ويكون ذلك في العمل الشعري، ويتم التحول من المعنى المفهومي إلى المعنى العاطفي عبر التحول الدلالي هذا، وبذلك يتم حدوث "العدول النسقي" وعلى عقبه يتم حدوث "العدول الجدولي"، فيكون العدول في العمل الشعري كالآتي: 1- إقامة العدول، وذلك حين نعتبر الكلام من جهة معناه الحرفي. 2- رفع العدول وذلك بتغيير المعنى في إحدى كلماته[80] .

الدلالة التصريحية تكون في النثر، والدلالة الحافة تكون في الشعر ويوجد تقابل بينهما، الدلالة

[79] - صولة، عبد الله، مقالة: فكرة العدول في الدراسات الأسلوبية المعاصرة، مجلة دراسات لسانية سيميائية أدبية، ع1، فاس، 1987م، ص74-78 ، كل التعريفات وردت في المرجع نفسه.

[80] - صولة، عبد الله، مقالة: فكرة العدول في الدراسات الأسلوبية المعاصرة، مجلة دراسات لسانية سيميائية أدبية، مرجع سابق، ص97

التصريحية دلالة عقلية، والدلالة الحافة دلالة عاطفية، فيكون الأسلوب عدولًا في المقابلة بين الفكرة والعاطفة، ويكون التقابل على صعيدي البنية والوظيفة. فدراسة البنية يكون بتحديد: 1- مبدأ السلب، ويكون على مستوى الاختيار، بأن للكلمة كلمة مناقضة لها غائبة، صواب/ خطأ، فإذا ذُكر الصواب فيستحضر الخطأ، في التقابل وهكذا يتم تعيين بنية الكلام. 2- مبدأ الكلية والشمول: يكون في التفريق بين النثر والشعر، في الكلام، ففي الشعر يكون الاستبداد الدلالي، ويكون فيه الخرق والنفي للكلام الطبيعي، دراسة المعنى من المستوى اللساني إلى المستوى النفسي وظيفيًا، وهو البحث عن معنى الكلام وعلاقته بالمتلقي، فيستوي بالي وكوهين في البحث عن "الكلية" بالمقابلة بين وظيفة الكلام العقلية والوظيفة العاطفية، والدلالة التصريحية والدلالة الحافة، فتكون الوظيفة في الدلالة التصريحية التعبير عن المدلول أو المفهوم، وتكون الوظيفة في الدلالة الحافة: 1- إحلال مدلول ثانٍ محل مدلول أول أو مفهوم أول.2- جعل المدلول الثاني أو المفهوم الثاني "صورة"[81]، أي دال – مفهوم – صورة، وهنا يتم الانتقال من الوظيفة الإبلاغية إلى الوظيفة التأثيرية، ويكون ذلك التفريق بين الشعر والنثر، كل ذلك على محور الاختيار، ويكون حظ "كوهين" في هذه الأسلوبية هو الحظ الأوفر.

في مقدمة كتابه الحجاج في القرآن عرض عبد الله صولة "الأسلوبية" في الفقرة الثانية: "المسألة الثانية" معنى الخصائص الأسلوبية" وما سندرسه منها في القرآن"، فكرة مجردة منهجيًا عن مستويات الدراسة الأسلوبية، ومبتسرة، واكتفى بإيراد بعض التعريفات وحاول تطبيقها نظريًا على القرآن، وكان عليه أن يفرد مبحثًا متكاملًا في التعريف بالمنهج الأسلوبي، كما عرّفه في المقالة السابقة، وقدمه بشكل متكامل وبصورة منهجية واضحة المعالم، يسهل على الباحث الإفادة منها، أو اعتمادها في دراسته.

فهو أحال إلى المقالة في الهامش، لكن القارئ المتخصص وغير المتخصص يرغب في معرفة آليات الاشتغال نظريًا، ولا يمكن أن تكتمل صورة المنهج الأسلوبي إلا بعد الرجوع للمقالة، وهذا للأسف لم يُحِل عليه، وقد اعتذر عن تطبيق المستوى الصوتي، لما فيه من "إيقاع" ووزن، لا يليق بتطبيقهما على الخطاب القرآني كما رأى ذلك.

هذه صورة من منهجه الذي يطبقه في دراساته في علاقته بالحجاج، في كتابيه المذكورين سابقًا، وبعض هذه الدراسات هي أبحاث في دوريات علمية منشورة.

ثالثًا: الجهاز المفهومي التداولي عند عبد الله صولة:

يعد البعد التداولي من الأبعاد المعرفية التي تحكّمت في ذهنية عبد الله صولة البحثية، لما للتداولية من علاقات متداخلة ومتشعبة مع العديد من العلوم البحثية، كعلم النفس المعرفي، واللسانيات الإدراكية، ونظريات التواصل وغيرها، ولأن التداولية مجموع نظريات لغوية وغيرها فقد قامت على يد مجموعة من العلماء أمثال غرايس، ومارتان، وسورل، ولم تكن بمعزل عن العلوم البلاغية أيضًا، فكانت لها الصلة المباشرة بأحوال المتكلم ومقاصده، مقامات التكلم، وهو ما كان له علاقة ب"التأثير" في المستمع، ومن ثم الإحالة إلى البحث عن "الإقناع" عبر استعمال اللغة اليومية.

[81] - صولة، عبد الله، مقالة فكرة العدول في الدراسات الأسلوبية المعاصرة، مجلة دراسات لسانية سيميائية أدبية مرجع سابق، ص99

مرّ بنا الحديث عن "الحجاج في اللغة" عند ديكرو، فهو يرى أن البنى الحجاجية ليست ذات طبيعة منطقية، ولكنها لغوية بالأساس، داخلة في اللغة: التي تحتوي في داخلها معلومات تتعلق بالحجاج[82] ، ولذلك يوجد في كل لسان موضع، هذا الموضع "كوني"، أي كل جماعة لسانية يوجد فيها هذا الموضع الكوني من أجل التعامل مع بعضها ومع الآخرين، ويتم عبر هذا التفاعل الحجاجي، وفي إطار هذا توجد البنية الحوارية، وفيها البنية المنطقية للغة، ويتم فيها الخطابات والتبادلات اللغوية، ويتم فيها التعرف إلى العوامل والروابط الحجاجية والتسلسل اللغوي عند القيام بتحليل المحادثة، والمحادثة قوانين إنتاج الخطاب، كما عرّفها غرايس[83] ، وهذه القوانين يلتزم بها المتكلمون، ويتخاطبون وفقها، وتكون هنا المحادثة "عملًا اجتماعيًا"، قائمًا على العلاقات بين الناس، فيتداول مستعملو اللغة قوانين الخطاب، الذي يتجلى في التحليل الحجاجي، وهو ما تهتم به البلاغة حاليًا، ومن دراسة هذه القوانين نصل إلى معرفة المستوى التداولي.

لكن "ديكرو" فتح نافذة جديدة في دراسة الحجاج لغويًا، هي البحث عن التأثير النفسي في اللغة، بواسطة "التداولية المدمجة"، عن طريق النظر إلى الحجاج تداوليًا في دراسة اللفظ من ناحيتين: 1- الحجاج بالمعنى العادي: وهو طريقة عرض الحجج وتقديمها، والهدف منه التأثير في السامع، وعند الوصول إلى ذلك يكون الخطاب قد أصبح ناجعًا وفعّالًا. 2- الحجاج بالمعنى الفني: وهو يدل على نوع مخصوص من العلاقات الدارجة في الخطاب، والقائمة في اللسان، وهي ضمن المحتوى الدلالي، والخاصية الأساسية للعلاقات الحجاجية هي أن تكون سلّمية (درجية)، أو قابلة للقياس بالدرجات[84] .

هذه السلمية الحجاجية تتضمن "التوجيه الحجاجي"، وهو المدخل لقراءة المستوى التداولي في الكلام.

تجنب عبد الله صولة الخوض في تعريف "التداولية" في "الحجاج في القرآن"، ولم يخصص لها فقرة أو قسمًا من المقدمة؛ لأنَّ التداولية موضوع متشعّب، وواسع، ويدخل إلى أماكن لا يريد الدخول إليها، ولذا اكتفى بذكرها بشكل عابر، وترك التطبيق يستدعي كثيرًا من مصطلحات التداولية ومفاهيمها، دون أن يشعر القارئ أثناء البحث بأنه يطبّق التداولية ويصل إلى الأبعاد الحجاجية عبر التداولية اللغوية، و في أعماق الدراسة الأسلوبية للحجاج تظهر ملامح التداولية، فهو يقول: "وهكذا تُسْلمنا دراسة الأسلوب حجاجيًا (بالمعنى التداولي الذي أردناه للحجاج) إلى نظرية تحليل الخطاب ولكن لا في شقها التقليدي القائم على مبدأ الانسجام ونحوية الخطاب وإنما في شقها الناشئ الجديد الباحث في تداولية الخطاب"[85] .

التداولية هي "دراسة اللغة في الاستعمال، وفي النصوص؛ لأنَّه يشير إلى أن المعنى ليس شيئًا متأصلًا في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، والسامع وحده، فصناعة المعنى تتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والمخاطب في سياق محدد، مادي، واجتماعي، ولغوي؛ وصولًا إلى المعنى الكامن في كلام ما"[86]، فهي على العموم اتجاه لغوي يدرس

82 - الحباشة، صابر، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2008م، ص18

83 - الحباشة، صابر، التداولية والحجاج، مرجع سابق، ص20

84 - الحباشة، صابر، التداولية والحجاج، مرجع سابق، ص21

85 - صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن، مرجع سابق، ص59

86 - شاهين، أحمد فهد صالح، النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 2015، ص10

الممارسة اللغوية واستعمالاتها وسياقاتها ومقاماتها، وعوامل نجاح التواصل فيها، وهي جهاز مفهومي متكامل، منظومة من الرؤى، ولها علماؤها منهم موريس، وسورل، وأوستين، وغرايس، بيرس، وغيرهم. أخذ عبد الله صولة ما يناسب بحثه من مصطلحات التداولية، وغرسها في فروع دراسته الأسلوبية، لا تتبين ذلك إلا إذا كنت على معرفة بالتداولية وعلمائها وهو يأخذ فقرات منهم ويطبقها في موضوعه، بمهنية، ودراية وحذق حصيف، مقارنًا بينها وبين غيرها من دراسات بعض العلماء العرب في تلك الجزئيات المدروسة.

أدرك عبد الله صولة أن هناك جهازًا مفهوميًّا للتداولية، يجب التعامل معه والأخذ منه، دون أن يكون القصد من ذلك هو الدراسة التداولية عينها، في ذاتها ولذاتها، لكنه استعان بالتداولية للوصول إلى الأغراض والمعاني الحجاجية، فهي ليست بحثًا مستقلًا يمكن تبويبه، فهي حضرت في كثير من المباحث بشكل فقرات مستقلة تتعلق بموضوعات وتفاصيل البحث. من هذا الجهاز المفهومي للتداولية الأركان الآتية:

1- السياق التداولي:

يأتي الحديث عن "السياق" عندما نستعمل مفردات في كلامنا اليومي مثل: اللغة، والخطاب، والحدث، والمعرفة والمجتمع، وغير ذلك، ونستعمل مفهوم السياق عندما نريد أن "نبيّن أن ظاهرة ما أو حدثًا أو فعلًا أو خطابًا ينبغي أن يدرس أو يوصف بموجب علاقته ببيئته، أي ظروفه المحيطة"[87] ، وهذا يدل على أن هناك علاقة تأثير بين الأشياء وسياقاتها، ولا يمكن أن تفسّر الأشياء إلا بسياقاتها، فنقول: لقد وضعت هذا في سياقه الصحيح، أو هذا في غير سياقه.

يدخل السياق في النظرية اللغوية في تقييم طبيعة العلاقة بين الظاهرة ومحيطها، أي بين الجزء والكل، ففي إدراك الظاهرة يكون الأمر إما صوابًا وإما خاطئًا، وفي معرفة الترابط بين الوحدة اللغوية وسياقها اللغوي يتم تقييم العلاقة بأنها جيدة الصياغة أو رديئة، وفي تقييم العلاقة بين الفعل ومحيطه الاجتماعي والثقافي يكون الفعل مقبولًا أو مرفوضًا، فالأمر يعتمد على مقاصد المتكلمين والإدراك اللغوي لمقاصد التواصل والقيود والمتطلبات السياقية[88] .

والسياق في التداولية له تعريفات كثيرة، لكن نأخذ الأوجز، فقد عرّفه (مالينوفسكي 1923): "إن الكلمة بلا سياق لغوي مجرد اختلاق ولا تشير إلى أي شيء بنفسها، فليس للتفوه في اللغة المنطوقة أي معنى خارج سياق الحالة" [89] . وسياق الحالة هنا السمات والإشارات المتعلقة الظرف والموقف الاجتماعي، والخبرة الاجتماعية في التعامل مع ما يحيط باللغة، وهو التعريف الشائع بين اللغويين، فقد درس مالينوفسكي لغة القبائل البدائية، وحكم على ذلك من خلال المنطوق من اللغة وليس المكتوب، ووظائف المنطوق تختلف عن المكتوب. لعلماء التداولية أن يقسموا السياق إلى السياق العام والسياق الخاص، والسياق اللغوي والسياق الاجتماعي والسياق الثقافي؛ لذا كان السياق محورًا مهمًّا لدراسة "القصدية" بين المتكلم والمخاطب، وممهّدا لدراسة أنواع القول،

[87] - الماشطة، مجيد، الركابي، أمجد، مسرد التداولية، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمّان، ط1، 2018م، ص136

[88] - الماشطة، مجيد، الركابي، أمجد، مسرد التداولية، مرجع سابق، ص142

[89] - الماشطة، مجيد، الركابي، أمجد، مسرد التداولية، مرجع سابق، ص148

والافتراضات في الكلام، والأقوال المضمرة والاستلزام الحواري، وقد كان ، وهي مصطلحات الجهاز التداولي في أية دراسة تداولية بعد أن مرّت بمراحل تطور، ليس هناك مجال لذكرها.

في البلاغة العربية هناك من وفّق بين السياق و"المقام"، وقد ذكر المقام كثيرًا عند البلاغيين، في العبارة المشهورة "لكل مقام مقال"، وهو ما جعل البلاغيين ينظرون لهذا "المقام" في "مطابقة الكلام لمقتضى الحال" وهي الجملة التي حددت معنى علم البلاغة، وقد خصص أبو يعقوب السكاكي في كتابه مفتاح العلوم في كلامه عن علم المعاني فقرة عن "المقام" على أنه الموضع الذي يوضع فيه الكلام ويكتسب قيمته، في حديثه عن أهمية المسند والمسند إليه في الخبر، يقول: "لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التشكّر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الذم، مقام الترغيب يباين مقام الترهيب(.....) وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر"[90] .

ما أعلنه السكاكي من مناسبة الكلام لما يليق به هو البعد التداولي الشائع بين المتكلمين، فكل متكلم يعرف مستوى الكلام الذي يتحدث به مع الآخرين، وقد وقف عبد الله صولة على "المقام" في دراسته الحجاج اقتداء بما جاء عند السكاكي في البلاغة العربية.

ذكر صابر الحباشة أن السياق في التداولية سياقان: 1- السياق المقامي. 2- السياق الحالي. والسياق المقامي "وهو متصل بالأحوال المنعكسة في الصياغة اللغوية، فهو بمثابة السبب الذي يؤثر في نص الملفوظ فيصاغ بموجبه مؤديا عملًا لغويا معينًا دون آخر"[91] . وهذا هو الرابط الذي يربط المكون البلاغي المقام بمفهوم السياق.

في بحث صولة عن الدلالات الاقتضائية، يرى أن الدلالات الاقتضائية تكشف عن "المقام" الذي يقف فيه المخاطبون في القرآن، ففي قوله تعالى: "فليعبدوا ربَّ هذا البيت. الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف" (قريش 3-4). كشفت الدلالة عن "مقام الخوف" الذي ورد كثيرًا في القرآن، وهذا يعني أن الكفر هجر لدائرة الأمن، والإيمان خروج من دائرة الخوف[92]. فلم يخرج عنده مقتضى الكلام عن المقام، أو دلالة الكلمة الاقتضائية سواء كانت صريحة أو مضمرة.

في كلام صولة عن "العنصر الإشاري" يركز فيه على "المقام"، يأخذ تعريف دوبيه إت أل (Dubois et al )، و أوريكيوني (Orecchioni) كل عنصر لغوي أو قسم من الكلام يتغيّر معناه بتغيير المقام، أو يحيل في قول ما على مقام القول وزمانه وقائليه شأن اسم الإشارة والظروف والضمائر[93] ، فأهمية المقام هنا تقف عليها هوية العناصر اللغوية، وقد أولاه صولة أهمية كبيرة، ورأى أن العنصر اللغوي له "حقيقة مقامية"، فهو صورة فارغة من غير المقام، ووجودها رهين مقام القراءة والسماع في أي زمان ومكان، ويرى صولة أن هذا الأسلوب كثير في القرآن كقوله تعالى: "أينما تكونوا يدرككم الموت" (النساء 78)، و" يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوّي وعدوكم أولياء" (الممتحنة 1)، فمرجع الضمائر هنا مقامي وليس مقاليًّا يحيل على سابق، ففي "لا تتخذوا" الضمير هنا إحالي مقالي

[90] - السكاكي، أبو يعقوب محمد، مفتاح العلوم، مرجع سابق، ص168
[91] - الحباشة، صابر، مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط1، 2011م، ص149
[92] - صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن، مرجع سابق، ص126
[93] - صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن، مرجع سابق، 204

لا يغيّر شيئًا لأن مرجعه (الذين آمنوا) وهو مرجع إشاري موجود في المقام خارج المقال[94] .

يرى صولة أن تأثير "المقام" في الخطاب القرآني حاضر بقوة كبيرة جدًا إلى الدرجة التي لا نستطيع فيها تحديد دلالة جملة إلا به، فالجملة إما أتت بفعل المقام، وإما أتت لتصنع مقامًا جديدًا وإما أتت للتأثير فيه، فاذا زيدت الجملة لفظًا بتأثير المقام أو لخلق مقام لإفادة معنى زائد عن المعنى الأصلي سُمّي "عدولًا كميًّا بالزيادة"، وإذا نقص منها لفظ للسبب نفسه من أجل إفادة معنوية سَمّي "عدولًا كميًّا بالنقصان"[95] ، فكان المقام حاضرًا في حجاجية التوكيد والإطناب والإيجاز والقصر، وغيرها من الأساليب التي درسها.

2- الأفعال الكلامية:

تحدث الفيلسوف البريطاني أوستن Austin "كيف نصنع الأشياء بالكلمات" عن "الملفوظات" وقوة الملفوظات المنجزة من خلال أفعال الكلام، بعيدًا عن المستوى الرمزي أو المرجع، والفعل الكلامي معناه:"الإنجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة، ومن أمثلته: الأمر، والنهي، والوعد، والسؤال، والتعيين، والإقالة، و التعزية، والتهنئة فهذه كلها أفعال كلامية"[96] ، وهو أيضا الفعل أو العمل الاجتماعي أو ما نتج عن المؤسسة من عمل أنجزه الإنسان بالكلام، ففعل الكلام في التداولية يحظى بأهمية خاصة؛ لأنَّ اللغة ليست محصورة في الإخبار أو في تمثيل الأشياء والعالم، وإنما تكون اللغة.

تم تقسيم الأفعال الكلامية إلى:

- الفعل القولي (الفعل التعبيري): ويتكون من مجموعة أصوات، لها بعد صرفي وتركيبي ودلالي، وهو القول العادي.
- الفعل المتضمن في القول (الفعل الإنجازي): يراد به أن المتكلم عندما ينطق بقول ما ينجز معنى قصديًا، ويشترط فيه تحقق السياق المعرفي الاجتماعي.
- فعل التأثير بالقول: يقصد به أن الكلام الذي ينتجه المتكلم بصيغته النحوية والدلالية في سياق معين يبلّغ رسالةً، ويحدث تأثيرًا في المتلقي أو السامع، ويكون التحقق من الفعل فيما ينجزه الفعل من تبعات ونتائج[97] .

في مبحث البعد المفهومي للعدول أتى صولة بتعريف المنطوق والمفهوم، عند المناطقة العرب والغرب، وعلاقة المصطلحين ببعضهما، وهو مما يطول الكلام فيه، فهو يرى أن المفهوم "حدث لغة" كما يرى ذلك ديكرو، أي يكون منغرسًا في طبيعة الملفوظ نفسها، وهو ما يراه الأصوليون العرب في "الاقتضاء"، الداخل في اللفظ نفسه، والمخصوص بالدراسة عند صولة المفهوم الذي أشارت إليه، ودلّت على قرائن الملفوظ، كقرائن التوكيد إنّ وأنّ واللام والقصر والقسم وغيرها[98] ، وقد استخلص هذا من "المبادئ التداولية"، الفعل التعبيري و الفعل المتضمّن في القول، كما مرّ بنا.

إذًا؛ صار الملفوظ "مفهومًا" عند صولة، وقد قسّمه إلى قسمين: 1- المفهوم الدلالي. 2- المفهوم اللاقولي أو المضمّن في القول. فهو يرى أن المفهوم الدلالي يُعدّ نظريةً علمية أخذ بها الباحثون في الحجاج

94 - صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن، مرجع سابق، ص206
95 - صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن، مرجع سابق، ص242
96 - صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة، بيروت، ط1، 2005م، ص10
97 - مجموعة مؤلفين، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، تحرير: بشير البستاني، مؤسسة السيّاب للطباعة، لندن، ط1، 2012م، مقالة: التداولية قراءة في النشأة والمفهوم، مؤيد آل صوينت، ص46..
98 - صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن، مرجع سابق، ص268/167

لحل المشكلات القائمة في المجالات الفكرية والأخلاقية والاجتماعية، أما المفهوم اللاقولي عنده فهو القيمة اللاقولية المشتقة من الكلام[99] .

استخدم هذين المصطلحين لهدم تصورات نظرية أو تشييد نظرية، مثلًا:

قوله تعالى: "الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون" (التوبة 20)، المفهوم الدلالي هنا: أما غير هؤلاء فليسوا فائزين. والمفهوم اللاقولي: آمنوا وهاجروا وجاهدوا لكي تفوزوا. وقوله تعالى أيضًا:"ثمّ إنكم بعد ذلك لميّتون" (المؤمنون 15) المفهوم الدلالي من نص الآية: الموت مدعاة إلى الإيمان بالآخرة. والمفهوم اللاقولي: آمنوا بالآخرة.

في الآيتين السابقتين طبق صولة رؤية البحث عن المدلول في المنطوق، وهي من آليات اشتغال التداولية، انطلق من المنطوق ثم لكي نصل إلى المعنى المضمّن في القول أو المفهوم اللاقولي يجب أن نمر ب"قانون العبور" أو "الضمان"، وهو ذو طابع اقتضائي، ويكون هذا في المفهوم الدلالي، الذي بواسطته نعبر إلى المعنى المضمّن في القول، ففي الآية 20 من سورة التوبة السابقة المقتضى فيها هو الفوز، والمفهوم اللاقولي هو فعل الأمر جاهدوا وهاجروا، وكذلك الآية 15 من سورة المؤمنون الضمان أو قانون العبور من منطوق الآية هو الموت داعٍ للإيمان بالآخرة، المفهوم غير القولي هو فعل الأمر آمنوا بالآخرة[100].

3- التوجيه:

الجهة أو التوجيه من القضايا التي اهتمت بها اللسانيات، والنحو الحديث، وقد اهتمت به التداولية في نسختها الأخيرة، أي التداولية الاجتماعية، في بحث قضية "الاتصال" ونجاحه؛ إذ إن عملية الاتصال هي في الأساس عملية إرسال، ولها مكونات: المرسل، والرسالة، والمرسل إليه، وقناة الإرسال، وشفرة الإرسال، وقد تم فتح "قنوات اتصال" عبر الأجهزة مثل الهاتف والتلفاز والإذاعة، وبرامج التواصل الاجتماعي، وغيرها، ففي هذه القنوات إرساليات متعددة، ولها "نسق خاص"، يتحكم بتتابع الرسائل، أو تغيير مسار اتجاهها، ولهذا لا بد من موجّه للرسالة. في التداوليات العامة، يدخل مصطلح "التوجيه" في حقول معرفية كثيرة، تختلف بعضها عن بعض اختلافًا جذريًّا، كحقل الفيزياء، وعلم النفس، واللغويات، وغيرها، وهو ما جعل التداولية تُعدُّه عالمًا مستقلًا بذاته، يعرّف عالَم التوجيه (مشيّد التنظيمات المتتابعة) ب" عالَم يبحث في فك مدارات تحويل الإرساليات وتثمين كم تُغيَّرُ حالة النسق في كل نقطة، ثم إخضاعها إلى قياس بتقدير كمية الأخبار التي تواكب"[101] ، والتوجيه يفكك الإرسالية إلى: أنساق رموز أساسية ، مجموعة خطية تكتشف الواحدة تلو الأخرى – أنساق أيقونية تقدم صورة مدركة كليًا– تسلسل الخطاب المنطوق في رموز سمعية– الأنساق السمعية التي تنتج صورة لجريان الصوت لحدث ما. وقد أخذ مارتن Martin هذا المصطلح وأعاد صياغته وفق المفهوم اللغوي بقوله:" التوجيه حكم على حكم أي أنه حكم من درجة ثانية (...) وهو ما من شأنه أن يجعل مجال التوجيه مجالًا شاسعًا فقولنا "هو

[99] - صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن، مرجع سابق، ص269/268

[100] - صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن، مرجع سابق، ص15

[101] - أوريكيوني،ك،و زيلتمان، مولز- ك، في التداولية المعاصرة والتواصل- فصول مختارة-، ت/ محمد نظيف، إفريقيا الشرق للنشر، الدار البيضاء، دط، 2014م، ص18

يعدو سريعًا" قول موجَّه"[102] أي أن الفعل "يعدو" هو حكم، وهذا الحكم نفسه محكوم عليه بحكم آخر في قولنا "سريعًا"، فيكون العدو حكمًا، والسرعة حكمًا عليه، وهذا يعني أن كل قول مهما كان عاديًا فإنه موجَّه أيضًا.

ذكر صولة تقسيمين للتوجيه، الأول تقسيم مارتن إلى توجيه القول، وتوجيه المقول، والتقسيم الثاني لشابرول Chabrol إلى: توجيه إثبات أو (موجهات إثبات)، وتوجيه تقويم أو (موجهات تقويمية)، فقد أخذ تقسيم شابرول هذا.

3-1- توجيه الإثبات:

يرى أن توجيه الإثبات دخل في قضايا التوكيد في القرآن، في القضايا التي كانت محل نزاع بين القرآن وخصومه، مثل البعث والحشر والثواب والعقاب ونبوءة سيدنا محمد، وغيرها، فالتوكيد بإنّ، وبإنّ مع اللام وبالقسم والقصر كل ذلك إلى جانب المفهوم الدلالي واللاقولي يؤدي دورًا حجاجيًا في يتمثّل في توجيه المقول والقول معًا، كما في الآيات الآتية:

| القضية | المؤكِّد موجه الإثبات | معنى الموجه |
|---|---|---|
| 1- قيام الساعة<br>2- صدق رسالة النبي محمد | إن: "إنّ الساعة لآتية" طه15<br>إن+ل:"إنه لقول رسول كريم" التكوير19 | الحق: الساعة قائمة اليقين القاطه كونه قول رسول كريم وهو المؤكد |

القضايا المعروضة موجهة توجيه إثبات ولذلك في حضور الذات في كلامها التي تثبته، ووجود التوكيد ما يبعث على التصديق والاقتناع.

هناك موجهات تقريبية أو موجهات الشكّ التي عبرت عنا الألفاظ : يبدو أنّ، لعل، قليل، بعض، فتكون ذات صبغة ذاتية، يحضر صاحبها حضورًا بارزًا، ورأت أوريكيوني أن هذه الموجهات التقريبية تكون لغاية الإقناع، في حين رفض صولة رأى أرويكيوني قائلًا:فليس صحيحًا، دائمًا، أن الموجهات التقريبية من شأنها أن تجعل الخطاب الذي ترد فيه ذا بعد موضوعي يبعث على التصديق ويولّد الإقناع كما ترى أوريكيوني"[103] .

ثم الموجهات اليقينية التي يراها صولة كثيرة جدًا قي القرآن، وهي من موجهات الإثبات، وأكثر الموجهات اليقينية "القسم" فهو أي القسم "يثبت القضية ويوجبها ويقيم في الوقت نفسه الحجة على المخاطَب ويلزمه بها"[104] ، فيكون عنده المقسم به "الحجة"، والمقسم عليه "الدعوى"، ومع ذلك يرى أن ما كل مقسم به يكون حجة على صحة الدعوى. وقد ورد القسم في خمس عشرة سورة، الذاريات والطور والنجم والمرسلات والنازعات والتكوير والبروج والطارق والفجر والبلد والشمس والضحى التين والعاديات أقسم الله بما يريد على أربعين مخلوقًا من مخلوقاته، فهو يرى أن سياقات القسم هي السياقات اللغوية والذهنية القليلة التي يلتقي فيها القرآن وخصومه حول مسألة واحدة هي الإيمان فيتقاسمون عوالم "إيمان واحدة" متعارضة في المعتقد، فالمقسم به (الله) جل وعلا مشترك بين

[102] - صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن، مرجع سابق، ص315
[103] - صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن، مرجع سابق، ص318
[104] - صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن، مرجع سابق، ص320

المتنازعين فهم جميعًا يلتقون حوله ولو بتصورات خاصة، وأن عظمته قد حصل عليها إجماع ضمني والمقسم عليه يمثل موضوع النزاع والخصومات مثل الساعة، والبعث ونبوءة سيدنا محمد ووحدانية الله، فالقسم له قدرة حجاجية ومنزلة حجاجية خاصة من وجهة نظره[105] .

3-2- التوجيه التقويمي:

يكون التوجيه التقويمي في الكلمات التي تحمل حكم قيمة، مثل: حسن/ قبيح، جميل/ فاسد، طيب/ خبيث، ففي الملفوظ من هذه الكلمات توجيه، ويكون توجيهًا تقويميًا، مخصوصًا يبين مستوى قيمة الشيء المتحدث عنه، وهو يبرز موقف المتحدث من الأشياء التي يتحدث عنها، وهو يوجه الطرف الآخر من خلال هذه الحكم إلى فعل ما، أو إحداث عمل مقصود، ويكون هذا الفعل نتيجةً حتميةً لتوجيه القول والمقول.

استشهد صولة بالتركيب البدلي (البدل) والعطفي (العطف) في القرآن، مثل قوله تعالى:

"ثم أنزل عليكم من بعد الغمّ أمَنَةً نُعاسًا" (آل عمران 154).

"وفضّل الله المجاهدين على القاعدين أجرًا عظيمًا. درجاتٍ منه ومغفرةً ورحمةً" (النساء 95-96).

فقد جاء المبدل منه في المثالين السابقين على وجه الخصوص لفظًا تقويميًا لتعظيم البدل وتصريحًا مسبقًا للمفهوم منه فهو"أمنةً" في المثال الأول، و"أجرًا عظيمًا" في المثال الثاني، ولأن المبدل منه هو الذي يفسر البدل ويُبيّنه؛ ذهب صولة إلى أنه يوجّهه ويوجّه كذلك الملفوظ كله بواسطة الشحنة التقويمية التي يتضمنها، ويستخلص من ذلك :أن ما في البدل من الزاوية الحجاجية التوجيهية، إضافةً على كونه يكرّر المعنى فيؤكّده؛ أن المبدل منه جاء في الأمثلة السابقة "لفظًا تقويميًّا"، فهو بهاتين الصفتين (التكرير والتقويم) – كما يرى– يكون ذا وظيفة توجيهية مضاعفة[106] ، كذلك في علاقة البدلية التي في المنطوق يوجد "مكوّن ضمني"، هذا الضمني فيه طاقة تشحذ الذهن وتقوّيه في عملية الاستنتاج والاستخلاص التي نقوم بها.

بهذا نكون قد قدمنا صورة عن البعد المعرفي عند عبد الله صولة على مستوى التنظير والتطبيق، وطريقة التعامل مع النظريات المختلفة في الحجاج واللغة، وغيرها، وكيفية تفاعل ذهنية عبد الله صولة البحثية مع العلوم المتعلقة ببحثه، أخذًا وعطاءً.

- **نتائج الدراسة:**

- وقف عبد الله صولة على جهود بيرلمان ومايير في الحجاج، لما لهما من أهمية في دراسة البعد البلاغي للمعنى في الحجاج.
- وفّق عبد الله صولة في دراساته للحجاج وتطبيقه بين الجهود العربية للبلاغة، والجهود اللسانية ونظريات الحجاج المعاصرة، في آلية قرائية موحدة شملت الخطاب القرآني والبلاغة العربية.
- مزج عبد الله صولة بين "الأسلوبية الحديثة" وبعض آليات التداولية لتحليل المستويات اللغوية وغير اللغوية، المعجم، التركيب، الدلالة، والصورة، والخطاب، للوصول إلى المعنى الحجاجي وأبعاده الظاهرة والمضمرة.
- قدم عبد الله صولة نفسه باحثًا أسلوبيًا، لكن الغاية من ذلك هو المعنى البلاغي، ولذا كانت البلاغة بمفهومها الحديث "الحجاج"، موجودة بشكل غير

[105] - صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن، مرجع سابق، 321

[106] - صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن، مرجع سابق، ص328-329

معلن فيها. فهو ضمن البلاغيين الجدد، وإن ظهر في لباس أسلوبية الحجاج.

- اهتم صولة ببلاغة التأثير القائمة على الإقناع، التي هي صلب نظرية الحجاج، وترك بلاغة "النظم" جانبًا في بحثه عن البعد الحجاجي.
- قدم عبد الله صولة مصطلحات البحث مشبعة بالبحث والتمثيل والتأمل، مقارنًا المصطلح بين ثقافتين، وأكثر من عالِمين، في كل مباحثه، فهو يناقش آراء العلماء، ثم يعدّل ويرجّح ويرد ما يراه غير مناسب لبحثه، باقتدار بحثي وكفاءة عالية.

- **المصادر والمراجع:**

- **المصادر:**


[1] عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، ط2، 2007م.

[2] عبد الله صولة، في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2011م.


- المراجع:


[1] أبو حامد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1993م.

[2] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين – ج3، ت/ عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998م.

[3] أحمد فهد صالح شاهين، النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 2015م.

[4] الحسين بو هاشم، نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2014م.

[5] القاموس فرنسي– عربي، الدار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2004م.

[6] بدر الدين محمد الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ت/ أبو الفضل الدمياطي، دار الحديث للنشر، القاهرة، 2006م

[7] جار الله أبو القاسم الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ت/ عادل أحمد عبد الموجود– علي محمد معوّض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1998م

[8] جوناثان كالر، النظرية الأدبية، ت/ رشاد عبد القادر، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، دط، 2004م

[9] رانية جهاد إسماعيل الشوبكي، الطاهر ابن عاشور وجهوده البلاغية في ضوء تفسيره التحرير والتنوير "المعاني والبديع"، الجامعة الإسلامية– كلية الآداب/ قسم اللغة العربية، غزّة، 2009م

[10] رخيس سهام ومهدي مباركة، في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية الخاطبة في القرن الأول الهجري نموذجًا، مذكرة ماجستير، جامعة ابن خلدون– تيارت، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، الجزائر، 2018/ 2019م.

[11] صابر الحباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2008م.

[12] صابر الحباشة، مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط1، 2011م.

[13] علي بن محمد الشريف الجرجاني، التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، طبعة جديدة، 1985م.

[14] عماد عبد اللطيف، البلاغة العربية الجديدة: مسارات ومقاربات، دار كنوز المعرفة، عمّان، ط2، 2021م

[15] عمر بن طرية، التفكير البلاغي عند الزركشي من خلال كتابه البرهان في علوم القرآن، أطروحة دكتوراه، جامعة لخضر باتنة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم اللغة العربية، 2009– 2010م.

[16] ك- أوريكيوني، فعل القول من الذاتية إلى اللغة، ت/ محمد نظيف، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2007م.

[17] كثرين كيربرات أوريكيوني، المضمر، ت/ ريتا خاطر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2008م.

[18] ك- أوريكيوني ،و مولز- ك زيلتمان، في التداولية المعاصرة والتواصل- فصول مختارة-، ت/ محمد نظيف، إفريقيا الشرق للنشر، الدار البيضاء، دط، 2014م.

[19] لعلاونة محمد الأمين، مبادئ في الدرس الحجاجي، دار المجدد للنشر والتوزيع، سطيف- الجزائر،دط، دت.

[20] ليلى جغام، الحجاج في كتاب "البيان والتبيين" للجاحظ، أطروحة دكتوراه، الجزائر، جامعة محمد خيضر- بسكرة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية، 2012- 2013م.

[21] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة، بيروت، ط1، 2005م.

[22] مجموعة مؤلفين، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، تحرير: بشير البستاني، مؤسسة السيّاب للطباعة، لندن، ط1، 2012م.

[23] مجموعة باحثين، إشراف علي جمعة، وسيف الدين عبد الفتاح، بناء المفاهيم: دراسات معرفية ونماذج تطبيقية، المجمع العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، دط، 1998م.

[24] مجيد الماشطة، وأمجد الركابي، مسرد التداولية، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمّان، ط1، 2018م.

[25] محمد إبراهيم عبد السلام، ظاهرة العدول في اللغة العربية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى كلية اللغة العربية، 1420هـ/ 1989م.

[26] محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، دط، 1984م،ج1، و ج3، و ج5.

[27] محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة دراسات وحوارات، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، دط، 2013م.

[28] محمد الولي، الخطابة والحجاج بين أفلاطون وأرسطو وبيرلمان، دار النجاح للنشر، الدار البيضاء، ط1، 2020م.

[29] محمد حسين أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، دت.

[30] محمد نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة نموذج هابرماس، دار إفريقيا الشرق، بيروت- الدار البيضاء،ط2، 1998م.

[31] محمد عابد الجابري، التراث والحداثة دراسات...ومناقشات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1991م.

[32] محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، دار نوابار للطباعة، القاهرة، ط1، 1994م.

[33] محمد عبد المنعم خفاجي، أبو عثمان الجاحظ، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط1، دت.

[34] مهدي صالح سلطان الشمري، في المصطلح ولغة العلم، جامعة بغداد كلية الآداب، بغداد، دط، 2012م.

[35] نجيب الحصادي، نهج المنهج، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ليبيا، دط، دت.

- المقالات:

[1] تكتك إكرام، مقالة الحجاج والبلاغة الجديدة، مجلة الحقيقة، العدد31، جامعة أحمد دراية أدرار، الجزائر، ص33
j/https://www.asjp.cerist.dz/en/downS
omaitepdf/49/13/4/14106

[2] شاييم بيرلمان، مقالة: في جدلية العقل الحجاجي، ت/أنوار طاهر، مركز أفكار للدراسات والأبحاث، 2020م، https://afkaar.center/2020/03/17/%D9%81%D9%8A-%D8%AC%D8%AF%D9%84%D9%8A%D8%A9

[3] عبد الله صولة، مقالة: فكرة العدول في الدراسات الأسلوبية المعاصرة، مجلة دراسات لسانية سيميائية أدبية، ع1، فاس، 1987م